تعامل النبي ﷺ مع العصاة

في ضوء السنة النبوية

دراسة موضوعية

The Prophetic Treatment of the Disobedient in the Light of the Sunnah: An Objective St

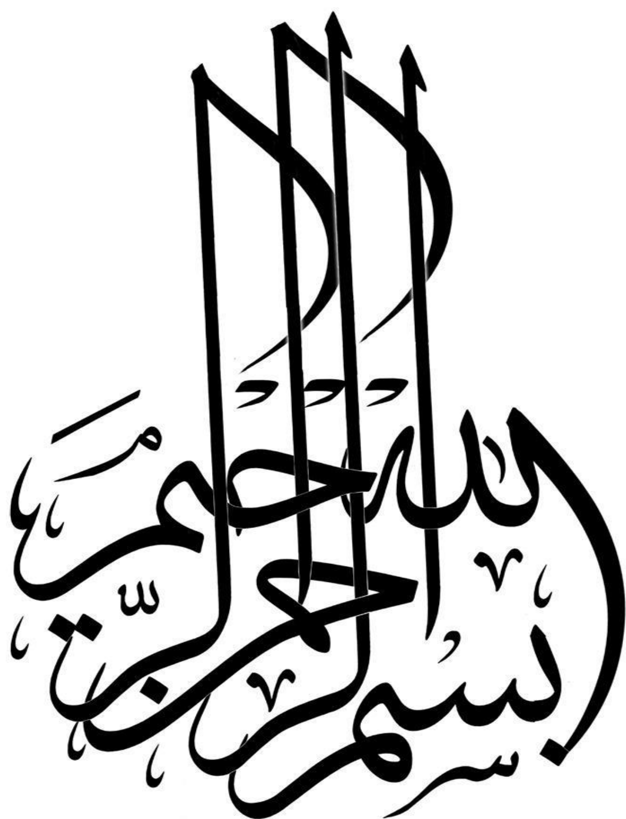
إعداد

د/ هناء محمد عبد السلام خليل

مدرس الحديث وعلومه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر بنات القرين


بسم الله الرحمن الرحيم

تعامل النبي ﷺ مع العصاة
في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية

هناء محمد عبدالسلام خليل
قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، القرين ، جامعة الأزهر، مصر
البريد الالكتروني: hanaakhalil.2075@azhar.edu.eg

الملخص :

إن الإنسان لا يسلم من الخطأ والعصيان إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، ومن وظيفة الرسالة الإلهية: الأخذ بيد العصاة؛ لإخراجهم من ظلمات العصيان إلى نور الخير والإيمان، وهذا يتطلب تعاملاً حكيمًا، ومعاملة مزينة بالقيم الكريمة، من أجل تأليف قلوبهم نحو الخير؛ ولذا جاء بحثي لبيان تلكم القيمة الرفيعة التي أرشدنا إليها نبينا الكريم ﷺ من خلال سنته الشريفة قولاً وفعلاً وتقريرًا، متبعة المنهج التحليلي في معالجة مسائل البحث، وذلك باستقراء النصوص الشريفة الواردة في هذا المضمار، ثم تحليلها وبيان دلالتها، واستخراج ما يستفاد منها من الفوائد والقيم للتعامل مع العصاة. وقد تكلل البحث في النهاية بجملة من النتائج، أهمها: أن الهدف الأسمى من مواجهة العصاة والتعامل معهم هو إصلاحهم وتوجيههم نحو الخير، وليس عقابهم أو إيذائهم، وأن التعامل الصحيح المحلى بالرحمة والعطف والتعاون هو ما يحقق تلك البغية المنشودة.

الكلمات المفتاحية : تعامل، النبي، العصاة، السنة النبوية، دراسة موضوعية.

The Prophetic Treatment of the Disobedient in the Light of the Sunnah: An Objective Study

Hanaa Muhammad Abdel-Salam Khalil
Lecturer of Hadith and its Sciences
College of Islamic and Arabic Studies for Girls
Al-Qareen, Al-Azhar University
Email: hanaakhalil.2075@azhar.edu.eg

Abstract :
The research summary indicates that the human being is not immune from error and disobedience except for those whom Allah has protected from among the Prophets and Messengers. One of the functions of the divine message is to take the hands of the disobedient and lead them from the darkness of disobedience to the light of goodness and faith. This requires a wise approach and dealing with them in a manner adorned with noble values, in order to incline their hearts towards good . The research aims to explain this lofty value that our noble Prophet (peace be upon him) guided us to through his noble Sunnah in words, deeds, and approvals, following an analytical approach in addressing the research issues. This is done by surveying the noble texts mentioned in this regard, analyzing them, explaining their implications, and extracting the benefits and values that can be utilized in dealing with the disobedient. The research concludes with a set of findings, the most important of which are: The highest goal in confronting and dealing with the disobedient is to reform them and guide them towards good, not to punish or harm them; and the correct approach, adorned with mercy, compassion, and cooperation, is what achieves this desired objective.

keywords: Dealing , The Prophet, The Disobedient , The Sunnah Of The Prophet , An Objective Study.

مُقَدِّمَة

- **الاستهلال.**
- **أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.**
- **أهداف البحث.**
- **منهج البحث.**
- **خطوات العمل في البحث .**
- **خطة البحث.**

المقدمة

بسم اللهِ الرَّحمَنِ الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين، أما بعد:

فلقد كان أصحاب النبي -ﷺ- من أعظم الناس تعظيمًا لحرمات الله، وأكثرهم خشية له، وأعظمهم خوفًا منه، ولقد عظَّموا المعاصي فاجتنبوها، ومع ذلك لم يخلُ مجتمعهم من المعصية؛ فمنهم من استزله الشيطان، فوقع في بعض الذنوب والمعاصي بل والكبائر، ولقد كان عليه الصلاة والسلام رفيقًا لينًا رحيمًا مع العصاة؛ لأنه يعلم بأن الشيطان قد استزلهم، فضعُفت نفوسهم، فوقعوا في الذنب، وأنهم يحتاجون إلى مَن يأخذ بأيديهم، فلا عصمة لأحد من ذلك إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، فهذه حقيقة ساطعة، ومادامت هذه هي طبيعة الإنسان فينبغي التعامل مع سقطاته وهفواته تعاملاً إنسانيا بحيث يتوافق مع القيم والفضائل الإنسانية، والإسلام بما أنه دين إلهي، والمخاطب به هو الإنسان، فبالنظر الفاحص في تعاليمه ومبادئه المتمثلة في الكتاب والسنة نجدها تناسب خلقة الإنسان وفطرته في كل جوانبها ونواحيها، ما يدل على أنه دين إنساني؛ بمعنى أنه راعي الطبيعة البشرية في أحكامه وتعاليمه، فعلى المسلم الذي يبحث عن النجاة أن يبحث عن هدي النبي-ﷺ- في كل أمر: في عباداته ومعاملاته وعقوده ودعوته، فيسلكه، وليصبر على ذلك وإن قل المعين، وليعلم علم اليقين أن العاقبة للمتبعين، ولما كان موضوع بيان كيفية تعامل النبي -ﷺ- مع أهل المعاصي من الموضوعات المهمة والمؤثرة في حياتنا أحببت أن أكتب في هذا الموضوع وأن يكون موضوع بحثي بعنوان **(تعامل النبي -ﷺ- مع العصاة في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية)**؛ لأبين للمجتمع – وخاصة أهل الإصلاح – كيف يعالجون هذا المرض بطرق

صحيحة، تبدأ من تشخيص المرض، ومدى خطره، والطرق المختلفة لعلاجه، وقد أرشد المصطفى -ﷺ- إلى أعظم وسائل العلاج من خلال مباشرته لأنواع من العُصاة، في كل مرة يعطي الأمة وسائلَ وأنواعًا من التعاملات، تمثِّل المنهج الصحيح والنافع في تصحيح مسار العصاة، ففي مرة يستَحِثُّ تفكير العاصي الذي تغلَّب على تفكيره فورانُ الشهوة وسطوتها، ومرة يدافع عن العاصي عندما يتعدى عليه بأكثر من عقوبته، ومرة يعاقبه ويقيم الحد عليه؛ لأن هذا نوعُ معالجةٍ، وغير ذلك مما ينبَع من فيض كرمه -ﷺ-.

وقد قمت في هذا البحث بجمع الأحاديث التي فيها ذكر تعامل النبي -ﷺ- مع المعاصي والعاصين، وهديه وسط بين الإفراط والتفريط سواء كان نصاً ظاهراً في الحديث أو مستنبطاً منه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- بيان وإيضاح حقيقة تعامل النبي -ﷺ- مع العصاة والمذنبين، وإبراز ما فيها من قيم الرقي الإنساني.
- محاولة وضع منهج متكامل ليكون بمثابة قانون نبوي ينظم العلاقة بين المسلمين، للحد من الاختلافات التي يكثر وقوعها في هذا الجانب.
- عدم وجود رسالة علمية (فيما وقفت عليه) تسلط الضوء على كيفية معاملة النبي للعصاة، فجاء هذا البحث لتحقيق هذا الغرض، ليتسنى للمسلم الاستفادة منه، والوقوف على القيم الإنسانية في علاقة النبي مع العصاة.

أهداف البحث:

١ - بيان حقيقة النفس الإنسانية وما يشوبها من ضعف.

٢ - بيان المنهج الأمثل للتعامل مع العصاة من خلال السنة النبوية.

٣ - غرس القيم السامية في التعامل مع العصاة.

٤ – بيان عظمة ورحمة الشريعة الإسلامية وسموها في مراعاة أهل المعاصي.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء وجمع الأحاديث المتعلقة بتعامل النبي ﷺ مع العصاة، وذلك بالرجوع إلى كتب الحديث وشروحها المختلفة.

أما خطوات العمل في البحث، فاتبعت الآتي:

أولاً: عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها في المصحف مع بيان أرقامها.

ثانيًا: خرجت الأحاديث، من المصادر المعتمدة، ورتبتها على الكتب الستة أولا ثم رتبت بعد ذلك على حسب سنة الوفاة.

ثالثًا: إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإذا لم يكن الحديث في الصحيحين اجتهدت في تخريجه من كتب السنة الأصيلة مع بيان الحكم عليه.

رابعًا: راعيت عند تخريج الحديث الإحالات والصيغ؛ فأبين إذا كان الحديث بلفظ الحديث الذي صدرت به، أو بألفاظ مختلفة، أو نحو ذلك.

خامسًا: لم أستخدم الرموز في التخريج فإذا قلت "البخاري" فإنما أعني به في كتابه الصحيح، وإذا قلت مسلم، ففي صحيحه أيضاً، وإذا قلت "أبو داود"، أو"الترمذي"، أو "النسائي"، أو ابن ماجه، فإنما أعنى سنن كُلُّ واحد منهم، وإلا بينت في غير هذا، وإذا قلت "مالك" فأعنى به الموطأ، وإذا قلت "الدارمي" فأعني به السنن، وإذا قلت "أحمد" فإنما أعني به في مسنده، وأما عن باقي الكتب والمصادر فإني أبينها، مع مراعاة ذكر الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة ورقم الحديث.

سادسًا: إن كان الحديث في غير الصحيحين، كان الحكم عليه بأقل درجة راو فيه حتى لا يطول البحث.

سابعًا: بينت غريب الألفاظ التي تحتاج إلى بيان، وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة في ذلك.

ثامنًا: اكتفيت بذكر المرجع أو المصدر ومؤلفه في الهامش، مع بيان توثيقه كاملا في فهرس المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة المتعلقة بهذا البحث:

بعد البحث والتقصي (فيما وقفت عليه) وجدت دراسة لها تعلق بالموضوع وهو بحث مختصر جداً بعنوان: (قيم التعامل مع العصاة والمذنبين في ضوء السنة النبوية)، عمران محمد إسماعيل مزوري، كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، أربيل، ولم تتناول البحث تناولا حديثيا من خلال الأحاديث المتعلقة بالموضوع، حيث إنه لم يقم بجمع أغلب الأحاديث المتعلقة بالبحث، ولم يقم بدراسة الأسانيد والحكم عليها، وهناك قصور في التعريفات اللغوية في البحث، كما أنه في معظم المباحث لم يذكر فيها أحاديث مجرد مقدمة خالية من الأحاديث.

خطة البحث:

بعد جمع المادة العلمية ودراستها قمت بتقسيم هذه الدراسة تقسيمًا منهجيًا منظما يحتوي تمهيدا، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية مرتبة على الشكل الآتي:

المقدمة: وتحتوي على جملة من العناصر: خطة البحث، أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، أهداف البحث، ومنهجه، وخطوات العمل فيه، والدراسات السابقة المتعلقة به.

التمهيد: وفيه مطلبان رئيسان:

المطلب الأول: مفهوم المعصية والعصيان والعصاة.

المطلب الثاني: الأساليب التي استخدمها الرسول - ﷺ - في تعديل سلوك العصاة.

الدراسة الموضوعية: ويشتمل على ستة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: الرحمة والإنسانية.

المبحث الثاني: الرفق والإقناع.

المبحث الثالث: العدالة والإنصاف.

المبحث الرابع: الستر والنصيحة.

المبحث الخامس: الأمل والرجاء.

المبحث السادس: التأديب والإنكار.

الخاتمة والنتائج. وفيها أهم ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات.

تمهيد

المطلب الأول: مفهوم المعصية والعصيان والعصاة.

المطلب الثاني: الأساليب التي استخدمها الرسول ـ ﷺ ـ في تعديل سلوك العصاة.

المطلب الأول
مفهوم المعصية والعصيان والعصاة

توطئة:

تعود مفردات البحث (المعصية والعصيان) ومشتقاتها، إلى الفعل (عَصَى) مفتوح العين، ولامه ألف مقصورة، ومكسور العين في المضارع (يعصِي)، كقضى يقضي، وللفائدة أوضح الفرق بين عصَا، وعصِيَ، وعصَى[١]:

(عَصَا – يعصُو –عصْوًا): متعدٍ، ضرب بالعصا، وجمع الْقَوْم على خير أَو شَرّ.

(عصِيَ – يعصَى – عصًا) لازم، لعب بالعصا، أو اتخذ الشيء تكأة.

(عَصَى – يعصِي – عصيًا ومعصية وعصيانًا): متعدٍ، خرج من الطاعة وَخَالف الأمر .

تعريف المعصية والعصيان، والعصاة:

المعصية في كتب اللغة: «ضد الطاعة، وقد عَصاه مَعْصِيَةً وعِصْياناً فهو عَاصٍ وعَصِيٌّ وعَاصَاهُ مثل عصاه واسْتَعْصَى عليه»[٢] فالمعصية ضد الطاعة وضد التقوى والاستقامة لذا كان الورع الكف عن المعاصي.

و(**العصيان**) اسم من عصى يعصي عصيا وعصيانا ومعصية، وتدلّ مادّته على أصلين متباينين، يدلّ أحدهما على التّجمّع، ويدلّ الآخر على الفرقة، فمن الأوّل: العصا، وسمّيت بذلك لاشتمال يد ممسكها عليها، والأصل الآخر: العصيان والمعصية، يقال عصا، وهو عاص، والجمع

---

(١) المعجم الوسيط بتصرف: ٢/٦٠٦.

(٢) مختار الصحاح ١/١٨٤ مادة (ع ص و).

عصاة وعاصون[(١)].

وجعل الرّاغب العصيان من العصا فقال: وعصا عصيانا إذا خرج عن الطّاعة، وأصله أن يمتنع بعصاه، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[(٢)] وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[(٣)] ويقال فيمن فارق الجماعة: فلان شقّ العصا[(٤)]، وقال القرطبيّ: في قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾[(٥)] أي لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان، ويقال فيمن فارق الجماعة: فلان شقّ العصا، ومنه: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[(٦)] والعصيان وهي جميع المعاصي، وفي الحديث: لولا أن نعصي الله ما عصانا، أي لم يمتنع عن إجابتنا إذا دعوناه، فجعل الجواب بمنزلة الخطاب فسمّاه عصيانا كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[(٧)]، وفيه: أنّه غيّر اسم العاصي؛ إنّما غيّره لأنّ شعار المؤمن الطّاعة، والعصيان ضدّه، والعاصي: الفصيل إذا لم يتبع أمّه[(٨)].

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٤٩٧٢/١٠.

(٢) سورة طه:١٢١.

(٣) النساء: ١٤.

(٤) المفردات:٣٤٩.

(٥) التحريم: ٩.

(٦) الحجرات: ٧.

(٧) أل عمران: ٥٤.

(٨) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٢٩)، النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٥٠، ٢٥١).

العصيان اصطلاحًا:

عرفه الجرجانيّ بقوله: العصيان هو ترك الانقياد «لما أمر الله به أو نهى عنه»[(١)].

وقال المناويّ: هو الامتناع عن الانقياد لما أمر الله به، أو نهى عنه[(٢)].

وقال الكفويّ: العصيان بحسب أصل اللّغة هو: المخالفة لمطلق الأمر، أمّا في الشّرع، فيراد به المخالفة للأمر التّكليفيّ خاصّة[(٣)].

تعريف العصاة:

والعصاة جمع تكسير لـ(عاصٍ) على(فُعَلَة) كقاضي، وقضاة، وغازي وغزاة، وهم المفرّطون، والمسيئون، وأهل الذنوب، والفساق، والذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، والمرجون لأمر الله، وكل ذلك من الأوصاف التي وردت في القرآن الكريم[(٤)].

قال الامام الطبري: «قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[(٥)] لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي، أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر، وذلك أن الله تعالى أتبع هذه

---

(١) التعريفات للجرجاني (١٥٦).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٤٢.

(٣) الكليات، لأبي البقاء الكفوي: ٤١.

(٤) مختار الصحاح: ١/١٨٤، والمعجم الوسيط: ٢/٦٠٦ بتصرف.

(٥) فاطر:٣٢.

الآية قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾[1] فعم دخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة»[2].

والخلاصة: أن مفهوم المعصية يدور بين ترك الانقياد كما أقر الجرجاني، والمخالفة للأمر التكليفي كما أوضح الكفوي، والامتناع عن الانقياد كما بين المناوي، غير أن علة الترك والمخالفة عند الجرجاني والكفوي قد تحتمل الجهل، والضعف، أوالعمد، أما الامتناع عند المناوي فهو عين العمد، وهو ما يتوافق مع الأصل اللغوي عند الراغب الأصفهاني في جعل أصله الامتناع بالعصا، كأن العاصي امتنع بجرمه، أو كبره، أو إصراره عن الانقياد لأمر ربه؛ لذا أرى أن تعريف المناوي هو الراجح.

---

(١) فاطر:٣٣.

(٢) تفسير الطبري:٤٦٩/٢٠.

المطلب الثاني

الأساليب التي استخدمها الرسول ـ ﷺ ـ في تعديل سلوك العصاة

أولاً: الهدوء في تعديل السلوك:

«من الرحمة التي تجلت في خير البرية فهمه لنفسيات الناس، ومراعاة جهلهم بأحكام الدين والشرع، والأمثلة على ذلك شاهدة، منها: تعامله مع موقف الأعرابي الذي بال في المسجد الذي لم يعط المسجد حرمته، فقام الصحابة فزجروه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لاَ تُزْرِمُوهُ» ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ[١] مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ[٢].

فتبين أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه اتبع في تعديل سلوك هذا الأعرابي التيسير وعدم التعسير، دون رفع الصوت على المخطئ، مبينا له أهمية المساجد، وأن هذا البول من القذارة التي تفسد أرضية المسجد، وأن هذه المساجد جعلت للصلاة وذكر الله، فالتنبيه الذي صاحبه الهدوء من رسول الله -ﷺ- جعل الإعرابي يعدل من سلوكه الخاطئ إلى الأحسن، فخير البشر قبل أن يقدم لعلاج السلوك الخاطئ الذي ارتكبه الأعرابي قام بتشخيص الحالة، إذ الأعرابي يعتبر من أهل البادية الذين لا يفقهون الكثير من الأحكام الشرعية، وخاصة أحكام المساجد والعلوم الشرعية، فالتشخيص المبكر سبيل إلى اختيار العلاج الناجح، فما من المعالج إلا أن يزوده

---

(١) الدلو: إناء يستسقى به من البئر، مؤنث، وجمعه: دلاء، ينظر الوسيط (٢٩٥/١/ د ل و).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ١٢/٨/ ٦٠٢٥، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك.

بالمعارف تجاه هذا السلوك الخاطئ، ولينتبه المُرَبُون أن يكون تركيزهم على مدخل ورود الخطأ على المخطئ، والسبب الذي قاده إلى هذا الخطأ، فهذا الأعرابي ليس بحاجة إلى تغيير قناعات لخلل في تفكيره، ولكن بحاجة إلى من يملي عليه المعرفة الصحيحة.

ثانياً: المصارحة والتوجيه:

من أساليب تعديل السلوك عند خير البرية المصارحة والتوجيه للمخطئ، إذ المصارحة تقطع شوطاً كبيراً في حل الكثير من المشكلات التي تصادف المخطئ، كما أن فيها إشعارا للمخطئ بكرامته وشخصيته وأهميته، سواء كان صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، أسوداً أو أبيضاً، عربياً أو أعجميا، كما أن الناصح يتعامل مع نفسيات لها مشاعرها وأحاسيسها، كل حسب مستواه المعرفي، وإدراكه العقلي، وذلك كما جاء في قصة الشاب الذي جاء يستأذن في الزنا، فعن أبي أمامة قال: أن فتى شابا أتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: «ادنه، فدنا منه قريبا». قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه

وطهر قلبه، وحصن فرجه»[١] قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

حيث إن الرسول -ﷺ- في هديه هذا راعى نفسية من استأذنه أن يرتكب خطأ، واختار له الأسلوب الأنسب، دون إساءة أو كسر خاطر، أو غضب، مدركا جهله، ولم يكتف بذلك، بل وضع يده على صدره، لتكون لمسة حنان من المربي، داعيا الله له بالشفاء العاجل من دائه.

ثالثاً: الرفق والرحمة وحسن التأني:

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢] أمر الله عزوجل نبيه في كتابه العزيز اتباع منهج الرفق واللين في تعديل السلوك، فما كان منه - ﷺ - إلا أن يسير على هذا المنهج إلى أن رحل من دنيا الفناء إلى دار البقاء، وذلك يظهر جلياً في قصة الرجل الذي وقع على زوجته وهو صائم في نهار رمضان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوس عند النبي -ﷺ-، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: "ما لك؟" قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله -ﷺ-: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»، قال: لا، فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينا». قال: لا، قال: فمكث النبي -ﷺ-، فبينا نحن على ذلك أتي النبي -ﷺ- بعرق فيها تمر - والعرق[٣] المكتل[١] - قال: "أين السائل؟" فقال: أنا، قال:

(١) أحمد في مسنده: ٥٤٥/٣٦/ ٢٢٢١١، قال: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حريز، حدثنا سليم بن عامر ... به بلفظه. قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

(٣) العرق: هو زبيل منسوج من نسائج الخوص، وكل شيء مضفور فهو عرق وعرقة =

«خذها، فتصدق به» فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي –ﷺ– حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك»(٢).

فالرسول – ﷺ – لم يأمره باجتناب مجلسه الطاهر، فهو يعلم – ﷺ – أنه من أجل هؤلاء بُعث، ومهمته أصلا مع الذين يهلكون أنفسهم، يجرهم من الهلكة إلى النجاة، ومن النار إلى الجنة، فلم يوجه النبي – ﷺ – إلى الرجل كلمة عتاب واحدة؛ ليس لأن معصيته صغيرة، ولكن؛ لأن الرجل أفاق وندم، فعلام التوبيخ إذن، وقد قام الرجل بتوبيخ نفسه بما يكفي، وجاء مسلمًا إياها للنبي – ﷺ – يفعل فيها ما يشاء، المهم أن يصلحها ويحط عنها آثامها.

رابعاً: المعالجة بالتعريض:

من الأساليب التي نهجها المصطفى – ﷺ – في تعديل سلوك العصاة: المعالجة بالتعريض دون التصريح بذكر الأسماء، وذلك لأن توجيهات وإرشادات الرسول – ﷺ – هي للناس كافة، كما أن تعديل السلوك بالتعريض يحفظ درجة شخصية المتعلم عند أصحابه، فلا يقل شأنه ومرتبته بينهم، كما أنه يؤدي إلى زيادة روابط الثقة بين المربي والمتربي، والمعلم

=

بفتح الراء فيهما. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢١٩).

(١) المكتل: بكسر الميم الزبيل الكبير. قيل: إنه يسع خمسة عشر صاعا، كأن فيه كتلا من التمر: أي قطعا مجتمعة. (المصدر السابق ٤/١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر، (٣/٣٢/ ح١٩٣٦)، قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني حميد بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة ﷺ .

والمتعلم، ويؤهله كذلك إلى الاستعداد النفسي والفكري لتصحيح الخطأ وتعديل السلوك، فكثيراً ما كان يقول - ﷺ - (ما بال أقوام؟)، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أتتها بريرة تسألها في كتابتها فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، فلما جاء رسول الله -ﷺ- ذكرته ذلك، قال النبي -ﷺ-: «ابتاعيها، فأعتقيها، فإنما الولاء لمن أعتق» ثم قام رسول الله -ﷺ- على المنبر، فقال: «ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة شرط»(١).

وهو من باب التوجيه المباشر، ولكن بأسلوب التعميم دفعاً للحرج عن المخطئ، وستراً له، ورفقاً به، فيتعلم المخطئ وغيره فالرسول - ﷺ - لم يصرح بذكر أسماء القوم، بل عالج سلوكهم تعريضًا، دلالة على أن توجيهات الرسول - ﷺ - لجميع البشر، وليتبع هذا الأسلوب المربي في بيته والمعلم في صفه، إذا ما رأى سلوكا خاطئا من بعض أبنائه أو طلابه، فيعمم نصائحه لجميع الأبناء في البيت أو الطلاب في الفصل دون ذكر أسماء بعينها، كما أن هذا الأسلوب قد يجعل المخطئ سريع الإجابة.

خامساً: هجر المخطئ:

يعتبر هجر المخطئ من الأساليب المؤثرة لما يحدثه الهجران والقطيعة من الأثر البالغ في نفس المخطئ، والرسول - ﷺ - لم يستخدم هذا الأسلوب إلا إذا عظم خطأ المذنب واستخدامه رادع وزاجر حتى يعدل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله، (٣/١٩٨/ح٢٧٣٥)، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن يحيى، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها.

المخطئ عن سلوكه المشين إلى سلوك الفضيلة والصلاح، ومن أمثلة ما جاء في هذا الأسلوب قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وفعل الرسول – ﷺ – من القطيعة والهجران تجاه هؤلاء، وفيها درس لكل من تسوّل له نفسه أن يتخلف عن الجهاد الذي افترضه الله من غير عذر، وقد يأخذ المربون بهذا الأسلوب في بيوتهم مع أبنائهم، خاصة إذا كان أحد الأبناء هجر شئياً من فرائض الدين كالصلاة، والصيام.... أو ارتكب كبيرة من المعاصي كشرب الخمر، والزنا ولم يكن لنصائح والديه بواع، ولا لتوجيهاتهم بسامع.

سادساً: التوبيخ والتأنيب:

جعل الرسول – ﷺ – من التوبيخ والتأنيب وسيلة لتعديل السلوك، وخاصة عندما يخرج هذا التأنيب والتوبيخ من رجل منظور إليه في المجتمع، فكيف وقد خرج من خير البشر، فجدير من المخطئ أن يعدل من سلوكه دون تردد وحديث أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– خير شاهد على ذلك، حينما سابب رجلاً فعيره بأمه، فقال له النبي– ﷺ – « إنك امرؤ فيك جاهلية » فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة[1] وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي –ﷺ–: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم

(١) الربذة: بالتحريك، من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري،(معجم البلدان:٣/٢٤/ ربذ).

خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»(١).

سابعاً: تقديم السلوك الصحيح كبديل:

الرسول – ﷺ – تارة إذا نهى أحدا عن سلوك خاطئ قدّم له السلوك البديل الحسن، حتى لا يجعل المخطئ في حيرة من أمره، وذلك كما ورد في حديث بلال ﷺ «بيع تمر رَدِيّ صاعين بصاع» فعن أبي سعيد قال: أتي رسول الله –ﷺ– بتمر، فقال: «ما هذا التمر من تمرنا؟»، فقال الرجل: يا رسول الله، بعنا تمرنا صاعين بصاع من هذا، فقال رسول الله –ﷺ–: «هذا الربا فردوه، ثم بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا»(٢).

فقد بين له النبي أن يبيع التمر ببيع آخر، ثم يشتري التمر، وحقيقة الأمر أن تقديم البديل قد لا يتأتى عند جميع الناس، فهو بحسب الإمكان والقدرة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، (١/١٥/ح٣٠)، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور بن سويد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، (٣/١٢١٦/ح١٥٩٤)، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا الحسن بن أعين، حدثنا معقل، عن أبي قزعة الباهلي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد.

الدراسة الموضوعية

- المبحث الأول: الرحمة والإنسانية.
- المبحث الثاني: الرفق والإقناع.
- المبحث الثالث: العدالة والإنصاف.
- المبحث الرابع: الستر والنصيحة.
- المبحث الخامس: الأمل والرجاء .
- المبحث السادس: الإنكار والتأديب.

المبحث الأول
الرحمة والإنسانية

من نعم الله علينا وعلى البشرية بأسرها أن رسول الله – ﷺ – ما بُعِث إلا لتحقيق ونشر الرحمة بين الناس جميعًا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢)، ويؤكد الرسول –ﷺ– ذلك بما ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري، قال: كان رسول الله –ﷺ– يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي(٣) والحاشر(٤) ونبي التوبة، ونبي الرحمة»(٥) فمن سمات الكمال التي تحلّى بها النبي –ﷺ– خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير، تلكم الرحمة التي صارت له سجيّة، فشملت الصغير والكبير، والمؤمن والكافر، والطائع والعاصي، وإذا كان الناس . عامة . بحاجة إلى الرحمة والرعاية، فإن الذي زل ووقع في المعصية بحاجة خاصة إلى أن نأخذ بيده لا أن نتركه واقعا، أو نهيل عليه التراب فنكون عونا للشيطان عليه، فعن أبي هريرة ﷺ أتي

---

(١) الأنبياء آية: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨.

(٣) المقفى: هو المولي الذاهب. وقد قفي يقفي فهو مقف: يعني أنه آخر الأنبياء المتبع لهم، فإذا قفى فلا نبي بعده. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٤/٤).

(٤) الحاشر: أي الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره. (المصدر السابق ٣٨٨/١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب علمه، بالله تعالى وشدة خشيته، (١٨٢٨/٤/ح٢٣٥٥)، قال: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى الأشعري.

النبي -ﷺ- برجل قد شرب، قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان»(١).

قال ابن حجر: ووجه عونهم الشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان(٢).

قال بدر الدين العيني: قوله: (لا تعينوا عليه الشيطان) يعني: إذا دعوتم عليه بالخزي فقد أعنتم الشيطان، فإنه إذا دعي عليه بحضرته، ولم ينه عنه ينفر عنه، أو لأنه يتوهم أنه مستحق لذلك، فيوقع الشيطان في قلبه وساوس(٣).

وقال ابن الجوزي: وقوله: ((ولا تعينوا عليه الشيطان)) وذاك لأن مراد الشيطان إذلال المسلم، والحد يكفي طهره، فلا يجوز أن يضاف إليه ما لم يشرع فيكون ذلك تعاطيا على الشرع، ثم من أين يأمن المعير أن يلقى ما لقي(٤).

فالعاصي كالمريض ابتُلِيَ بهذه المعصية التي عافاك الله منها فلا تسبَّه ولا تلعنه، بل يحتاج إلى من يعينه ويأخذ بيده، فيدعو له، وليس من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، (١٥٨/٨/ ح٦٧٧٧)، قال: حدثنا قتيبة، حدثنا أبو ضمرة أنس، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

(٢) فتح الباري: ٦٧/١٢.

(٣) عمدة القاري: ٢٦٨/٢٣.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٥٢٣/٣.

يدعو عليه ويعين الشيطان عليه، ثم أثبت له الحبيب -ﷺ- أنه يحب الله ورسوله -ﷺ-، ولو بلغ منه ما بلغ من كثرة شرب الخمر، نعم، فالمسلم يحب الله ورسوله -ﷺ-، والمرء مهما بلغ من الخطأ ففيه الخير، فكثير ممن وقعوا في الذنوب قد يريدون التخلص منها، ولكن ابتُلوا بها؛ فلنكن عونًا لهم للأخذ بأيديهم للتوبة، فباب التوبة مفتوح.

وعن عمر بن الخطاب، أن رجلا على عهد النبي -ﷺ- كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله -ﷺ-، وكان النبي -ﷺ- قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي -ﷺ-: «لا تلعنوه، فو الله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»(١).

قال ابن حجر: فيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه والأمر بالدعاء له، وفيه أن لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب لأنه -ﷺ- أخبر بأن المذكور يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه، وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله(٢).

كذلك ورد في أن ماعز بن مالك الأسلمي، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي، وزنيت، وإني أريد أن تطهرني، فرده،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه= =ليس بخارج من الملة،(١٥٨/٨/ح٦٧٨٠)، قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثني الليث، قال: حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب.

(٢) فتح الباري: ٧٨/١٢.

فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فقال: «أتعلمون بعقله بأسا، تنكرون منه شيئا؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وَفَيّ العقل من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به، ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرجم، قال، فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني، وإنه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا، فوالله إني لحبلى، قال: «إما لا فاذهبي حتى تلدي»، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها، فقال: «مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»، ثم أمر بها فصلى عليها، ودفنت(١).

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد منقبة عظيمة لماعز بن مالك؛ لأنه استمر على طلب إقامة الحد عليه مع توبته ليتم تطهيره ولم يرجع عن إقراره، مع أن الطبع البشري يقتضي أنه لا يستمر على الإقرار

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، (١٣٢٣/٣/ح١٦٩٥)، قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، ح وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، وتقاربا في لفظ الحديث، حدثنا أبي، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي.

بما يقتضي إزهاق نفسه، فجاهد نفسه على ذلك وقوي عليها وأقر من غير اضطرار إلى إقامة ذلك عليه بالشهادة مع وضوح الطريق إلى سلامته من القتل بالتوبة، ولا يقال لعله لم يعلم أن الحد بعد أن يرفع للإمام يرتفع بالرجوع؛ لأنا نقول كان له طريق أن يبرز أمره في صورة الاستفتاء فيعلم ما يخفى عليه من أحكام المسألة ويبني على ما يجاب به ويعدل عن الإقرار إلى ذلك، ويؤخذ من قضيته أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد كما أشار به أبوبكر وعمر على ماعز، وأن من اطلع على ذلك يستر عليه ولا يفضحه ولا يرفعه إلى الإمام، كما قال في هذه القصة لو سترته بثوبك لكان خيرا لك، وبهذا جزم الشافعي ﷺ فقال أحب لمن أصاب ذنبا فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر، وقال بن العربي هذا كله في غير المجاهر فأما إذا كان متظاهرا بالفاحشة مجاهرا فإني أحب مكاشفته والتبريح به لينزجر هو وغيره، وقد استشكل استحباب الستر مع ما وقع من الثناء على ماعز والغامدية، وأجاب شيخنا في شرح الترمذي بأن الغامدية كان ظهر بها الحبل، مع كونها غير ذات زوج فتعذر الاستتار للاطلاع على ما يشعر بالفاحشة، ومن ثم قيد بعضهم ترجيح الاستتار حيث لا يكون هناك ما يشعر بضده وإن وجد فالرفع إلى الإمام ليقيم عليه الحد أفضل(١).

فهذه المرأة التي جاءت إلى رسول الله -ﷺ- وهي حبلى من الزنا، واعترفت عنده بأنها زنت، وأمرها النبي ﷺ أن تتوب إلى الله، وأن تستغفر وأن تستتر على نفسها، فقالت: يا رسول الله، أتريد أن تردني كما رددت ماعزًا؟! مصممة على أن يطهرها من هذا الزنا، فقال: ما شأنك؟ قالت: إنها

(١) فتح الباري: ١٢٥/١٢.

حبلى من الزنا، ولكن رسول الله -ﷺ- أمر أن تنتظر حتى تضع، ثم تفطم الولد، فلما فطمت الولد، أمر بها فرجمت، فكان من جملة من رجمها خالد بن الوليد ﷺ، فحصل عليه دم من رأسها حين ضربه فسبها، فقال النبي -ﷺ-: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له».

كما أنها أتت للنبي -ﷺ- من نفسها، ولم يكشفها أهلها، ولم يدعها النبي -ﷺ- للتوبة؛ لأنها أتت تائبة معترفة بذنبها، نادمة عليه، طالبة للتطهير بالحد، فإتيانها نادمة هو في حد ذاته توبتها، ولذلك قال رسول الله: (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله)[1].

وقد أقام النبي -ﷺ- الحد على الغامدية لإصرارها عليه؛ لأنها رأت أن التطهير بالحد أكمل لها، وأرجى لقبول التوبة، ولا شك أن ستر المؤمن لنفسه مندوب إليه.

وسيرة النبي - ﷺ - وأحاديثه عامرة برحمته مع العصاة، تلكم الرحمة التي لا تضيق بضعفهم وتقصيرهم، فإنهم بشر من بني آدم.

فالنظر إلى العاصي والمذنب بأنه بشر يخطئ ويذنب، والتعامل معه على هذا الأساس سنة نبوية كريمة، فإنه من العلوم بالضرورة بأنه لا يوجد إنسان يسلم من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء والمرسلين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى،(٣/١٣٢٤/ ح١٦٩٦)، قال: حدثني أبو غسان مالك بن عبد الواحد المسمعي، حدثنا معاذ يعني ابن هشام، حدثني أبي، عن يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو قلابة، أن أبا المهلب، حدثه، عن عمران بن حصين، أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ ... به مطولاً.

المبحث الثاني
الرفق والإقناع

الرِفْقُ هو لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيقٌ[١] .

ولقد كان رسول الله -ﷺ- رفيقًا، ليِّنَ الجانب في القول والفعل، يدعو إلى الرفق في الأمر كله، ويُثني على من يتصف به، ويبين عظيم ثوابه، ويأخذ بالأيسر رفقا بأمته، وقد وصفه الله بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢] قال ابن كثير: يقول تعالى مخاطبا رسوله -ﷺ-، مُمْتنَّاً عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجْرِه، وأطاب لهم لفظه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ ﴾ أي: أي شيء جعلك لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم. قال قتادة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ ﴾ يَقُولُ: فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ[٣]. وقال الحسن البصري: هذا خُلُق مُحَمَّد -ﷺ- بعثه الله به، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤].

كان من هدي النبي ﷺ مع أصحاب المعاصي الرفق، لقد كان ﷺ رفيقاً ليناً رحيماً مع المذنبين، لأنه يعلم بأن الشيطان قد استزلهم، فضعفت نفوسهم، ووقعوا في الذنب، وأنهم يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم، وأن يعاملوا بالرفق واللين، وذلك لأنهم مرضى والمريض كلما اشتد مرضه كان

(١) العين: ١٤٩/٥.
(٢) سورة آل عمران آية رقم١٥٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٣٠/٢.
(٤) سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

في حاجة إلى الرحمة، فغاية الطبيب وأهل المريض هي معالجته ونجاته مما ألمّ به، وعلى هذا الأساس يجب أن نبني علاقتنا مع العصاة، ويكون هدفنا صلاحهم وليس معاقبتهم وذلك بإخراجهم من قعر الذنوب إلى روضة الصلاح والإحسان، ولا يتحقق ذلك بدون الرحمة والرفق، فالغلظة والقسوة تعطي نتائج عكسية فبدل الإصلاح يكون الفساد، وفي مكان الخير يكون الشر.

وقد بين النبي - ﷺ - في أحاديث كثيرة على أهمية الرفق وحث المسلمين على التحلي به في علاقاتهم مع الآخرين لما له من ثمرات وفوائد عظيمة، فعن عائشة، زوج النبي -ﷺ-، عن النبي -ﷺ-، قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(١) .

وكما حث النبي على الرفق حث على الرحمة وبين أنها سبب لنزول الرحمة الإلهية علينا كما في قوله -ﷺ- «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء (٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (٤/٢٠٠٤/ ح٢٥٩٤)، قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن المقدام وهو ابن شريح بن هانئ، عن أبيه، عن عائشة...به بلفظه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب في الرحمة، (٤/٢٨٥/ ح٤٩٤١)، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومسدد المعنى، قالا: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوس، مولى لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو.

- وأخرجه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، (٣/٣٨٨/ ح١٩٢٤)، قال: حدثنا ابن أبي عمر، قال: حدثنا سفيان...به. بزيادة في آخره. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

- وأخرجه أحمد في مسنده: (١١/ ٣٣ / ح٦٤٩٤)، قال: حدثنا سفيان...به. بزيادة في =

ومن هذا المنطلق نجد الرفق في أروع صوره في تعامل النبي -ﷺ- مع مرتكبي الذنوب والآثام، فمنه رفقه -ﷺ- بالشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا.

فعن أبي أمامة قال: أن فتى شابا أتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: «ادنه، فدنا منه قريبا». قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه»(١) قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

لقد غضب الصحابة عند سماع الاستئذان في الزنا من الشاب، فزجروه: "مه مه"، ولكن النبي -ﷺ- عالجه بطريقة أخرى وذلك ببيان مفاسد

=

آخره.

الحكم على إسناد إبي داود:

إسناده ضعيف فيه أبو قابوس، مقبول، قال فيه ابن حجر: مقبول من الرابعة. (تقريب التهذيب ص٦٦٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده:(٣٦/٥٤٥/ ح٢٢٢١١)، قال: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حريز، حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

مطلبه، وسوء عواقبه، وفي هذا إرشاد للمعلمين والمربين والدعاة باللطف بالجاهل قبل التعليم، فذلك أنفع له من التعنيف، ثم لا وجه للتعنيف لمن لا يعلم، فالإقناع برفق وحكمة هو الباب الصحيح لصرف العقول والقلوب عن المخالفات.

فلم ينظر النبي -ﷺ- إلى ذلك الشاب على أنه فقد الحياء والخير، بل تفهم حقيقة ما بداخله من شهوة، ولمس جانب الخير فيه، فتعامل معه -ﷺ- بمنطق الإقناع العقلي مع الشفقة والحب، فأثابه إلى رشده، وأرجعه إلى طريق العفة والاستقامة، حتى أصبح رافضاً للرذيلة كارهاً لها.

وقد احتوى هذا الموقف على الأسلوب العاطفي في الدعوة والتربية من قِبَل النبي -ﷺ- مع هذا الشاب وظهر ذلك في: "ادنه"، "فدنا منه قريبا"، "فجلس"، «فوضع يده عليه»، ودعا له بقوله: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه»، ولا شك أن الحديث العاطفي في مواطن ومواقف كثيرة يكون مفتاحاً مهما للإقناع.

ولم يكتف النبي -ﷺ- بالإقناع بالأسلوب العاطفي، بل ضم إليه الإقناع بالأسلوب العقلي بقوله: «أتحبه لأمك؟»، «أفتحبه لابنتك؟»، «أفتحبه لأختك؟»، «أفتحبه لعمتك؟»، «أفتحبه لخالتك؟»، وكان يكفي قوله: «أتحبه لأمك»، لكنه عدَّد محارمه زيادة في الإقناع، ودلالة على أن ما قد يأتي من النساء لا تخلو أن تكون أماً، أو بنتاً، أو عمة، أو خالة لأحد من الناس.

فلقد تعامل النبي -ﷺ- بكل رفق ولين مع إقناع وقرب ودعاء، والنتيجة كانت: (فلم يكن ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) أي: إنه كره الزنا، فلو أن هذا الشاب جاء لأحدنا، أو جاء الابن لأبيه يطلب منه مثل ذلك فكيف سيكون الرد؟

النبي الرحيم ﷺ علم أن هذا الشاب يعلم بحرمة الزنا، فاتبع أسلوب الإقناع معه، فكم نحن بحاجة لمثل هذا الأسلوب في زمن الانفتاح العالمي، الذي أصبح فيه الشاب والابن لا ينفع معه مجرد الأمر والنهي، بل يحتاج لإقناع حتى ينتهيَ أو يفعل ما طُلب.

ولا أحد في هذه الحياة لا يخلو من خطأ قصداً أو عن غير قصد، فهي سنة الله في هذا الإنسان أنه خطاء، وهي صيغة مبالغة تدل على كثرة وقوعه في الخطأ، كما قال النبي -ﷺ- «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[(١)].

قال الصنعاني: والحديث دال على أنه لا يخلو من الخطيئة إنسان لما جبل عليه هذا النوع من الضعف وعدم الانقياد لمولاه في فعل ما إليه

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، (٤/٢٤٠/ ح٢٤٩٩)، قال: حدثنا أحمد بن منيع، قال: حدثنا زيد بن حباب، قال: حدثنا علي بن مسعدة الباهلي، قال: حدثنا قتادة، عن أنس. قال الترمذي هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة. قلت: إسناده ضعيف فيه علي بن مسعده ضعيف.

قال الذهبي: فيه ضعف، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. (الكاشف ٢/٤٧/٣٩٦٥ – تقريب التهذيب ص٤٠٥).

- وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (٢/١٤٢٠/ح ٤٢٥١)، قال: حدثنا أحمد بن منيع...به بلفظه.
- وأخرجه أحمد في مسنده: (٢٠/٣٤٤/ح ١٣٠٤٩)، قال: حدثنا زيد بن الحباب...به بزيادة في آخره.

دعاه وترك ما عنه نهاه، ولكنه تعالى بلطفه فتح باب التوبة لعباده وأخبر أنه خير الخطائين التوابون المكثرون للتوبة على قدر كثرة الخطأ(١).

وقد حث النبي -ﷺ- على وجوب الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء وعدم العجلة عليه، وهذا يظهر من خلال تعامله مع الأعرابي الذي بال في المسجد، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لاَ تُزْرِمُوهُ» ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ(٢).

فالنبي -ﷺ- أمر أصحابه أن يتركوه ونهاهم أن يقطعوا عليه بوله لجهل هذا الأعرابي، حيث إنه لم يفعل ذلك استخفافاً وعناداً، وهكذا يجب أن يكون المُنكِر مع الجاهل، ولو عَظُم ذنبه ما دام جاهلاً، فليس بقعة أعظم من بيوت الله، وليس أقبح من البول فيها، ومع ذلك رفق النبي -ﷺ- بذلك الأعرابي لجهله، وأخبره ما الذي يصلح في هذه المساجد من ذكر وصلاة وقرآن، وما لا يصلح فيها، فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن»(٣) وتأمل

---

(١) سبل السلام ٦٥٣/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، (١٢/٨/ح٦٠٢٥)، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها، (٢٣٦/١/ ح٢٨٥) حدثنا زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك... به بزيادة في أوله.

كيف كانت نتيجة الرفق حين التعليم، فقد جاء في الحديث أن أبا هريرة، قال: قام رسول الله -ﷺ- في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا. فلما سلم النبي -ﷺ- قال للأعرابي: «لقد حجرت واسعا» يريد رحمة الله[١].

فهذا الأعرابي ارتكب المعصية جاهلاً وهو يظن جوازها، لذلك تلطف النبي -ﷺ- معه بالإنكار عليه ولم يعنفه، فكان صلوات الله وسلامه عليه يقدر ظروف الناس، ويراعي أحوالهم، ويعذرهم بجهلهم، ويتلطف في تصحيح أخطائهم، ويترفق في تعليمهم الصواب، ولا شك أن ذلك يملأ قلب العاصي حباً للرسالة وصاحبها -ﷺ-، فعن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله -ﷺ-، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه[٢] ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله -ﷺ-، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني[٣] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله -ﷺ- قلت: يا رسول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٨/١٠/ح٦٠١٠)، قال: حدثنا أبواليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبوسلمة بن عبد الرحمن.

(٢) وا ثكل أمياه: الثكْلُ، بالضمّ: الموتُ والهَلاكُ وفِقْدانُ الحَبِيبِ والوَلَدِ وعَلى الْأَخير اقْتصر الأكثرُون ويُحَرَّكُ. (تاج العروس ٢٨/١٦١).

(٣) كهرني: الكَهْر: الانْتِهار. وَقَدْ كَهَرَه يَكْهَرُه، إِذَا زَبَره واسْتَقْبله بوَجْهٍ عَبُوس. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢١٢).

الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان، قال: «فلا تأتهم» قال: ومنا رجال يتطيرون[١] قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم - قال ابن الصباح: فلا يصدنكم -» قال قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط[٢]، فمن وافق خطه فذاك» قال: وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية[٣] فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها[٤] صكة، فأتيت رسول الله -ﷺ- فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: "ائتني بها"

---

(١) يتطيرون: الطِّيَرَة بِكَسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ، وَقَدْ تُسَكّن: هِيَ التَّشَاؤم بِالشَّيْءِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٢/٣).

(٢) الخط: قال ابن عباس: الخط هو الذي يخطه الحازي، وهو علم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلوانا، فيقول له اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وغلامه يقول للتفاؤل: ابنى عيان أسرعا البيان، فإن بقي خطان فهما علامة النجح، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة. وقال الحربي: الخط هو أن يخط ثلاثة خطوط، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ويقول يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٧/٢/خطط).

(٣) الجَوَّانِيّةُ: بالفتح، وتشديد ثانيه، وكسر النون، وياء مشددة: موضع أو قرية قرب المدينة إليها ينسب بنو الجوّانيّ العلويون. (معجم البلدان١٧٥/٢).

(٤) صككتها: أي لطمتها، الصَّكَكُ: أَنْ تَضْرِب إحْدى الركْبتَين الأُخْرى عِنْدَ العَدْو فتُؤَثر فِيهِمَا أَثَرًا، كأنَّه لَمَّا رَآهُ مَيِّتًا قَدْ تَقلّصت رُكبَتاه وصَفَه بِذَلِكَ، أَوْ كَانَ شَعر رُكْبَتَيْهِ قَدْ ذَهَبَ مِنَ الاصْطِكَاكِ وانْجرَدَ فعرفَه بِهِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢/٣).

فأتيته بها، فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة»[١].

قال النووي: قوله «فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم» يعني فعلوا هذا ليسكتوه وهذا محمول على أنه كان قبل أن يشرع التسبيح لمن نابه شيء في صلاته وفيه دليل على جواز الفعل القليل في الصلاة وأنه لا تبطل به الصلاة وأنه لا كراهة فيه إذا كان لحاجة. قوله "فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه"، وفيه بيان ما كان عليه رسول الله -ﷺ- من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه، في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه[٢].

ففي هذا الموقف نرى بوضوح رحمة النبي -ﷺ- بمعاوية بن الحكم ، الذي كان جاهلاً إلى حد كبير بتعاليم الصلاة، وهذه الرحمة لفتت نظر معاوية حتى إنه ذكرها وعلَّق عليها؛ فقال: «فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه" وكأنَّ معاوية كان يتوقَّع الزجر والتعنيف من رسول الله -ﷺ-؛ لمَّا رأى ثورة المصلين حوله، ومحاولتهم إسكاته، فقال معاوية في سرور: «فوالله، ما كهرني ولا ضربني

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، (١/٣٨١/ح٥٣٧)، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن الصباح، وأبوبكر بن أبي شيبة، - وتقاربا في لفظ الحديث - قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن حجاج الصواف، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية بن الحكم السلمي.

(٢) النووي على مسلم: ٥/٢٠.

ولا شتمني» وكأن هذه كانت أموراً متوقَّعة، لكن رسول الله -ﷺ- لا يصدر منه القول السيء، ولا يقسو على أحد أبداً.

كذلك من صور رفق النبي -ﷺ - في تعامله مع العصاة والمذنبين مهما ارتكبوا من ذنوب، فتح أبواب الرجاء لهم والطمع في رحمة الله وعفوه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوس عند النبي -ﷺ-، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: "ما لك؟" قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله -ﷺ-: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»، قال: لا، فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينا». قال: لا، قال: فمكث النبي -ﷺ-، فبينا نحن على ذلك أتي النبي -ﷺ- بعرق فيها تمر - والعرق[1] المكتل[2] - قال: "أين السائل؟" فقال: أنا، قال: «خذها، فتصدق به» فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي -ﷺ- حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك»[3].

فهذا الحديث مما يستشهد به على رحمته - ﷺ - فهل ننتبه مع مَن كان رحمته - ﷺ - هنا؟ ومع مَن كان رِفْقُه وتسامُحُه؟ إنه ليس مع الجاهل الذي لا يعلم، ولا مع الناسي الذي لا يتذكر، نعم ليس مع واحد من هؤلاء.

---

(١) العرق: هو زبيل منسوج من نسائج الخوص، وكل شيء مضفور فهو عرق وعرقة بفتح الراء فيهما. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢١٩).

(٢) المكتل: بكسر الميم الزبيل الكبير. قيل: إنه يسع خمسة عشر صاعا، كأن فيه كتلا من التمر: أي قطعا مجتمعة. (المصدر السابق ٤/١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر، (٣/٣٢/ ح١٩٣٦)، قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني حميد بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة رضي الله عنه

فلمَّا يحضر التمر، يعطيه إياه النبي ﷺ ليكفِّر به عن خطيئته، فيستمر الرجل في إدهاشه: وهل هناك من هو أفقر منا لنتصدق عليه! فيقره النبي ﷺ، ولا يدفعه إليه دفع الكاره المغضَب، بل يعطيه إياه عطاء المحب المشفق، وهو يضحك -ﷺ-.

إن رحمته هنا ربما تكون صادمة لكثير من المتدينين، لأنها كانت مع عاص من العصاة، مذنب من المذنبين، وأنه ليس ذنبا من الذنوب الصغار التي قال فيها ربنا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾[1]، إنها كبيرة، لا مِراء في كِبَرها، ولا شك في فداحتها، حتى الرجل نفسه يعلم أنها كبيرة ومهلكة، فقد قال الرجل معترفا: «يا رسول الله هلكت»!

فالرسول ﷺ لم يأمره باجتناب مجلسه الطاهر، فهو يعلم ﷺ أنه من أجل هؤلاء بُعث، ومهمته أصلا مع الذين يهلكون أنفسهم، يجرهم من الهلكة إلى النجاة، ومن النار إلى الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها»[2] .

فالرسول ﷺ لم يُبد انزعاجاً ولا انقباضاً ولا تجهماً في وجه الرجل؛ لأنه يعلم أن الإنسان خلق ضعيفا، وأن الخطأ من سمات البشر، وأن

---

(١) سورة النجم: آية ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (١٠٢/٨/ح٦٤٨٣)، قال: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبوالزناد، عن عبدالرحمن، أنه حدثه: أنه سمع أبا هريرة ﷺ .

إصلاح الخطأ من سمات الصالحين، هكذا ينظر النبي ﷺ إليه أنه جاءه ليُصلح خطأه، إنه يعلم أنه ما ألجأه إليه إلا بقايا إيمان في ضميره، أفسدت عليه لذة المعصية، وأيقظت في جوانبه النفس اللوامة، فجاء يلوم نفسه ويخاصمها بين يدي النبي ﷺ قبل أن تخاصمه هي بين يدي الله سبحانه يوم القيامة.

لم يوجه النبي ﷺ إلى الرجل كلمة عتاب واحدة؛ ليس لأن معصيته صغيرة، ولكن؛ لأن الرجل أفاق وندم، فعلام التوبيخ إذن، وقد قام الرجل بتوبيخ نفسه بما يكفي، وجاء مسلمًا إياها للنبي ﷺ يفعل فيها ما يشاء، المهم أن يصلحها ويحط عنها آثامها، فلا حاجة إذن لجلد نفسية الرجل، فلتبدأ إجراءات الإصلاح، «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، «هل تجد إطعام ستين مسكينا؟» قال: لا، لو كان أحدنا مكانه ﷺ، لبادر الرجل بالجواب: ويكأنك ليس لديك قدرة إلا على المعصية إذن! لا رقبة تملكها، ولا مال تطعم به، ولا قدرة على الصيام، فأين ذهبت قدرتك التي عصيت الله بها؟

لم يقل النبي ﷺ للرجل شيئا من ذلك؛ فالرجل جاء من تلقاء نفسه طالبًا التوبة، فليس ثمة ما يحمله على الكذب والمراوغة!

إن الرجل أدرى وأعلم بقدراته وإمكاناته! لا يملك ولا يقدر ولا يجد، فهو كما قال. لكن أحدنا لا يقبل هذا ممن يكون في مثل موقف الرجل، ويأخذ في إثبات أن الرجل يكذب، أو يراوغ، وأحسننا ظنًّا يقول: إنه يبالغ!

لكن النبي ﷺ لم يفعل شيئا من ذلك، وصدَّق الرجل، ولم يأمره أن يذهب ليحل مشكلته بنفسه، فلم يقل له مثلا: كما أوبقت نفسك فاذهب فأعتقها، فمهمته ﷺ الأخذ بأيدي التائبين، ومحاولة فك أغلال من أوبق نفسه بالمعصية، فهل يحمل أحدنا هم من يأتيه تائبا كما حمله النبي ﷺ!

إن أفضلنا يعد نفسه من أولي العزم في الدعوة لو أنفق جزءًا من وقته ليستمع حكاية السائل وشكواه، لكن النبي ﷺ يسعى إلى الحل وكأن المشكلة مشكلته هو ﷺ!

فالرفق بمن جاء تائباً ونادماً، خاصة إذا كان هذا الخطأ في حق الله عزوجل، بخلاف ما إذا كان هذا الحق متعلقاً بالمخلوقين، فهذا الرجل مع كونه أتى جُرماً عظيماً هو أعظم المفطرات، مع ذلك لم يُعنِّفه النبي –ﷺ–، وشواهد هذا في تعامل النبي –ﷺ– كثيرة، وهذا يدل على حسن خلق النبي –ﷺ–، وعظيم تربيته، وكرم وفادته، فهذا الرجل جاء خائفاً وجلاً فذهب من عند النبي –ﷺ– فرحاً مسروراً ومعه المكتل والزنبيل من التمر الذي يطعم به أهله.

إذا كان هذا حاله ﷺ مع أصحاب الكبائر، وهكذا كان حال النبي مع العصاة والمذنبين، فلا شك أنه كان أشد تسامحا ورحمة ورأفة مع أصحاب الصغائر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي –ﷺ– فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدا فأقمه علي، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصلاة، فصلى مع النبي –ﷺ–، فلما قضى النبي –ﷺ– الصلاة، قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدا، فأقم في كتاب الله، قال: «أليس قد صليت معنا» قال: نعم، قال: «فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك»(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، (٨/١٦٦/ ح٦٨٢٣)، قال: حدثنا عبدالقدوس بن محمد، حدثني عمرو بن عاصم الكلابي، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس.

قال النووي: هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير وهي هنا من الصغائر؛ لأنها كفرتها الصلاة، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له، لم تسقط بالصلاة فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة هذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث(١).

فلم يسأله النبي ﷺ عن طبيعة الذنب وتفاصيله، بل انتقل من الذنب إلى العلاج، دون أن يقف مع طبيعة الذنب منعا لإحراجه، وسترا عليه.

والفارق بين هذا الرجل والرجل الأول، حيث سأل الأول: فقال له: «مالك؟»؛ أن الأول وصف معصيته بأنها مهلكة، فكأنه ﷺ خشي أن يكون الرجل ممن يبالغ فيعتقد هلاك نفسه في أمر غير مهلك فسأله من أجل ذلك، كما سأل الغامدية لعلها تكون هوَلت، فقال لها: لعلك ولعلك. أما هذا الرجل فيبدو أنه لا يبالغ.

لا شك أن المخطئ والجاهل له حق على مجتمعه، يتمثل في نصحه وتقويم اعوجاجه بأفضل الطرق وأقومها، فلو أن المسلمين وخاصة الدعاة والمعلمين اقتدوا برسول الله ﷺ، وبذلوا جهدهم في نصح وتعليم المخطئ بهذا الأسلوب النبوي الكريم، وما فيه من حلم ورفق وعطف وستر، ونصح وحكمة لأثروا بتعليمهم وأسلوبهم فيه، تأثيراً يجعله يستحب لتنفيذ أمر الله وهدي رسول الله -ﷺ-.

(١) النووي على مسلم: ٨١/١٧.

المبحث الثالث
العدالة والإنصاف

إن العدل من أعظم القيم في الإسلام التي أمر الله تعالى بترسيخها وتطبيقها، وما أرى شريعة دعت إلى الإنصاف ولا شريعة حذرت من الإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(١).

والإنصاف خلُق رفيع وأدب سامٍ يدلُّ على كرم النفس وصفاء السيرة والبعد عن الأثرة، وبالإنصاف يقوى الفهم، ويتسع الأفق، ويعلو القدر، ويسود الود، وأعلى ما في ذلك كله: حصول رضا الله – تعالى–، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾(٢) وقال: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٣).

العدالة قيمة سماوية فريدة قامت عليها كل الرسالات السماوية إلى البشرية كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٤) والله تعالى حينما أمر رسله القيام بالقسط لم يفرق في التعامل على أساس العدالة مع الناس بين هذا وذاك؛ بل الخطاب عام ويشمل البشرية جمعاء، كل انسان يستحق أن يُعامل بالعدل، وذلك لتكون العدالة قيمة إنسانية ويعامل بني البشر فيما بينهم على هذا الأساس،

(١) سورة المائدة آية ٢.

(٢) سورة النحل: آية ٩٠.

(٣) سورة الحجرات: آية ٩.

(٤) سورة يونس: الآية ٤٧.

ويُنصف بعضهم البعض في المعاملة بغض النظر عن الجنس والنوع والدين والمكانة.

كما أن العصاة والمذنبين ليسوا خارجين من جنس الإنسان، مهما كان ذنبهم كبيراً، كما أنهم لا يخلون من خير مهما كان خطؤهم جسيماً؛ لذا ينبغي إظهار محاسنهم في هذا الموقف، وتسليط الضوء على ما فيهم من الخير ليسهل التعامل مع خطاياهم؛ بغية معالجتها وتجنبهم من التمادي فيها، وقد حث النبي -ﷺ- الناس على التحلي بالعدالة والإنصاف في معاشرة الخلق، ومما يدّل على تلك القاعدة الجليلة هو تعامل النبي -ﷺ- العملي بمقتضاها فقد روي عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت عليا ﷺ، يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[١] فإن بها ظعينة[٢] ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها[٣] فأتينا به رسول الله -ﷺ-، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله -ﷺ-، فقال رسول الله -ﷺ-: «يا

(١) روضة خاخ: موضع بين الحرمين، ويقال له روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة. (معجم البلدان ٣٣٥/٢).

(٢) ظعينة: أصل الظعينة: الراحلة التي يرحل ويظعن عليها: أي يسار. وقيل للمرأة ظعينة، لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل الظعينة: المرأة في الهودج. (النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٧/٢).

(٣) عقاصها: أي ضفائرها، جمع عقيصة أو عقصة. وقيل: هو الخيط الذي تعقص به أطراف الذوائب، والأول الوجه. (المصدر السابق ٢٧٦/٣).

حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي؛ إني كنت امرأ ملصقا[١] في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ-: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[٢] - قال سفيان: وأي إسناد هذا-.

قال النووي: في الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله -ﷺ- وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلا أو امرأة، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة، وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت به مصلحة، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلى الستر، وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك، وهذا الجنس كبيرة قطعا لأنه يتضمن إيذاء النبي -ﷺ- وهو كبيرة بلا شك لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[٣] [١].

---

(١) ملصقاً: الملصق: هو الرجل المقيم في الحي، وليس منهم بنسب. (المصدر السابق ٤/٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (٤/٥٩= =ح٣٠٠٧)، قال: حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو ابن دينار، سمعته منه مرتين قال: أخبرني حسن بن محمد، قال: أخبرني عبيد الله بن أبي رافع.

(٣) الأحزاب: ٥٧.

قال الشوكاني: قوله: (إنه قد شهد بدرا) ظاهر هذا أن العلة في ترك قتله كونه ممن شهد بدرا، ولولا ذلك لكان مستحقا للقتل ففيه متمسك لمن قال: إنه يقتل الجاسوس ولو كان من المسلمين(٢).

فقد ذكر الحديث قصة سيدنا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي ارتكب خطأً عظيماً بحق النبي -ﷺ- والمسلمين، فقد حاول تسريب معلومات سرية إلى قريش يخبرهم بمسير النبي -ﷺ- إليهم، ولم يكن يقصد خيانة المسلمين، وإنما خوفه على أهله الذين كانوا يعيشون بين المشركين، ولم يكن له قرابة يحمونهم كغيرهم من المهاجرين، فأراد أن يقدم للمشركين قرباناً ليضمنوا له حماية أهله، وهذا يسمى في العرف الدولي اليوم بالخيانة العظمى، والتي يكون عقابها الإعدام، إنه كشف لأسرار لو وصلت إلى الأعداء ربما لأحدثت كارثة ومجزرة للصحابة لا يعلم حجمها إلا الله، ولكن الله سلم.

فما من بني آدم أحد إلا وهو معرض للخطأ، إلا إن الرسل عصمهم الله، وخطأ هؤلاء القمم من الصحابة رحمة، حتى لا يأتي البعض من بعدهم ويضع لهم هالة من التقديس والتقدير والألوهية، كما تفعل باقي الملل المنحرفة بصالحيهم، هذه النظرة المهمة لا يدركها الكثير من المسلمين، فهم ينظرون إلى القدوات من المتدينين على أنهم معصومون من الخطأ، حتى إذا ما أخطأ أحدهم يومًا من الأيام لضعف أصابه فإنهم يستعظمون ذلك ولا يلتمسون له عذرًا، بل إنه يسقط من أعينهم، وربما يعامل معاملة قاسية حتى

=

(١) النووي على مسلم: ١٦/٥٥.

(٢) نيل الأوطار: ٨/١٢.

بعد توبته وإصلاح شأنه، وليس هذا مبررا لخطأ من يخطئ، بل هو إدراك الحقيقة، ولابد أن يكون هناك فرق بين من يخطئ ويصر على خطئه، وبين من يخطئ ويشعر بخطئه ويندم عليه ثم يصلح من نفسه، لهذا ذكر الله تعالى في صفات المتقين الذين وعدهم بجنة عرضها السماوات والأرض بأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[1] ولكن الصنف الذين أخطأوا وأصروا على خطئهم ولم يعترفوا ولم يندموا أنزل الله آيات تعريهم وتكشفهم، بل أنزل سورة كاملة كسورة المنافقين لتفضحهم، وتبشرهم بمأواهم في جهنم وطردهم من رحمة الله.

فالرسول -ﷺ- في هذه الحادثة لم يتعجل إصدارَ الحكم، مع أنه أوحي إليه بذلك الأمر، ولم يتأثر بحماسة بعض أصحابه كالذين طالبوا بقتل ذلك الصحابي واتهموه بالنفاق، إنما اتخذ بعض الخطوات قبل استصدار الحكم، فأرسل اثنين من الصحابة لتلك المرأة ليطلع على طبيعة الأمر، ولما استلم الكتاب ورأى ما فيه ناداه مستفسرًا عن سبب فعلته تلك، من دون غضب أو انفعال، بل ناداه باسمه «يا حاطب ما هذا»، ولما سمع منه عذره، علم صدق حديثه فعفا عنه.

فليس من العدل أن يقوَّم الرجال بحادثة واحدة، مهما كانت هذه الحادثة، وترك الماضي الزاخر بالحوادث والمواقف، فالكم والكيف عنصران ضروريان في عملية التقويم، كم قدم؟ وماذا قدم؟

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٥.

فالعنصر الأول: معناه "السابقة" فالمهاجرون ليسوا كالأنصار، وأهل بدر ليسوا كأهل أحد، ومن آمن قبل الفتح ليس كمن آمن بعده، والصحابة ليسوا كالتابعين، ومن انضم لقافلة الدعوة أيام اضطهادها ومضايقتها ليسوا كمن انضم إليها بعد أن آل إليهم الزمام والسلطان، فالسابقة لها تأثيرها بلا ريب في عملية التقويم.

والعنصر الثاني: هو نوعية العمل الذي قدمه في سبيل الله، فالجهاد بالنفس ليس كالجهاد بالمال، والشهادة ليست كأي موت آخر، والذي يطعم الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، لس كمن يطعم الطعام وهو بغير حاجة له لكثرته، وهذا ما نظر إليه الرسول -ﷺ- وهو يقضي بهذه الحادثة فعلم صدق إيمانه عندما قال: «لم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام» فقال: «أما إنه صدقكم» ونظر في سابقته عندما طلب منه عمر ؓ قتله، فقال له: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (١).

ومع ذلك لم يعاقبه النبي -ﷺ-، بل عفا عنه من باب الإنصاف، وعارض سوء عمله هذا بما سبق له من خير عظيم من شأنه التغاضي عن خطأٍ كهذا، وهو مشاركته في غزوة بدر الكبرى التي كان النصر فيها إثبات وجود المسلمين، كما أن الهزيمة تعني نهاية الدعوة الإسلامية.

فقد كان العدل من الأخلاق النبوية والشمائل المحمدية التي اتّصف به النبي -ﷺ- ونشأ عليها فعن أبي هريرة ؓ، قال: سمعت النبي -ﷺ-، يقول: «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلاَ يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ

---

(١) وقفات تربوية من السيرة النبوية لعبد الحليم البلالي ص٨٠.

إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلاَ يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ»(١).

قال بدر الدين العيني: قوله (ولا يثرب) من التثريب، وهو التعيير والاستقصاء في اللوم، أي: لا يزيد في الحد، ولا يؤذيها بالكلام(٢).

قال ابن حجر: قوله "ولا يثرب" أي لا يجمع عليها العقوبة بالجلد وبالتعيير وقيل المراد لا يقتنع بالتوبيخ دون الجلد(٣).

فهذا الحديث فيه إرشاد إلى الطريقة الصحيحة في العقاب مع عدم التعنيف وكثرة اللوم، لأن كثير من الناس ينشغل باللوم على الخطأ كثيرًا، مما يوجد في قلب المخطئ شيء من الإصرار أو المعاندة أو نحو ذلك.

فينبغي أن يُتجنب ذلك، إذا عُوقب الشخص على خطئه، لا يُنشغل معه بالمعاتبة، لماذا فعلت، ولماذا كذا إلى آخره، وإنما يُترك ذلك حتى يُفتح لهذا المخطئ المجال للإقبال على الخير، ولا يُذكر بماضيه السيء وما فيه من أخطاء، وإنما تُفتح له الأبواب ويعان على طاعة الله.

ومنها ما روي عن أبي ظبيان، قال سمعت أسامة بن زيد بن حارثة ﵄، يحدث قال: بعثنا رسول الله -ﷺ- إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي -ﷺ-، قال: فقال لي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب بيع المدبر، (٣/٨٣/ح٢٢٣٨)، قال: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، قال: أخبرني الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة.

(٢) عمدة القاري: ٢٧٧/١١.

(٣) فتح الباري: ١٦٦/١٢.

«يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قال: فما زال يكررها علي، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، فتأمل كيف أن هذا الرجل قد أثخن في المسلمين الجراح، ولكن لم يحمل بغضُه النبيَّ، على عدم العدل معه حتى ولو أتى بحسنة واحدة(١).

قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة؛ حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وقال القرطبي في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك(٢).

قال بدر الدين العيني: وفيه تعظيم أمر القتل بعدما يقول الشخص: لا إله إلا الله، قوله: حتى تمنيت الخ، حاصل المعنى: أني تمنيت أن يكون إسلامي الذي كان قبل ذلك اليوم بلا ذنب؛ لأن الإسلام يجب ما قبله فتمنيت أن يكون ذلك الوقت أول دخولي في الإسلام لآمن من جريرة تلك الفعلة، ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلما قبل ذلك(٣).

ولذلك فرّق رسولنا في معاملاته وسيرته وطريقته وهديه مع من حارب الله ورسوله وآذى المؤمنين كعقبة بن أبي معيط وأمثاله، وبين من أجاره ونصره وسعى في نقض صحيفة الحصار التي أبرمتها قريش كالمطعم بن عدي وأبي البختري، حتى قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى(٤) لتركتهم له»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]، (٩/٤/ح٦٨٧٢)، قال: حدثنا عمرو بن زرارة، حدثنا هشيم، حدثنا حصين، حدثنا أبوظبيان.

(٢) فتح الباري: ١٢/١٩٦.

(٣) عمدة القاري: ٢٤/٣٦.

(٤) النتنى: يعني أسارى بدر، واحدهم: نتن، كزمن وزمنى، سماهم نتنى لكفرهم. =

أيُّ شكر هذا وأيُّ إنصاف في الحديث حتى عن مشرك كان قد أعانه وأجاره في وقت من الأوقات، فكافأه بهذا الموقف حتى بعد وفاته، وقال فيه هذه المقالة؟!

هذا الإنصاف الذي هو مزية الأشراف، فمن باب أولى إن كان الحديث عن مسلمين لهم حق من الموالاة لا يخرجون منها ما داموا داخل دائرة الإسلام.

إنه في مقابل ما طلبه الله منا من براءة كاملة من الشرك وأهله كما في قوله: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾(٢) فإنه سبحانه أمرنا بالإنصاف مع العصاة من أهل الملة فقال في شأن المؤمنين: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾(٣).

فتأمل الفرق بين البراءة الكاملة من المشركين والبراءة الجزئية من المؤمنين والمتمثلة بالبراءة من معاصيهم فقط، دون البراءة منهم أنفسهم.

هذا الفرقان يمثّل العدل والميزان والإنصاف، ولذلك كان النبي -ﷺ- إذا عصى أحد أصحابه لا يتجاوز في عقوبته الحد الذي حده الله لأمثاله،

=

(النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٤/نتن).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، (٤/٩١/ح٣١٣٩)، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه ﷺ .

(٢) سورة الممتحنة آية: ٤.

(٣) سورة الشعراء آيتان: ٢١٥، ٢١٦.

ويشهد حتى للعصاة منهم بالحق الذي يستحقونه، فلا تُضيِّعُ معصيتُهم – ولو كانت من الكبائر – حقوقَهم ولا تخرجُهم من دائرة الموالاة الإيمانية، فلما رجم الغامدية في الزنا ورماها خالد بن الوليد بحجر في رأسها فنضح دمها على وجهه فسبّها، قال له –ﷺ–: (مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْسٍ لغُفر له)[1] ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت.

ما أجمله وأكمله من عدل وإنصاف! خطيئتها شيء وحقها وإنصافها شيء لا يضيع رغم خطيئتها، إن هذا هو العدل الذي أمرنا الله تعالى به في كتابه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[2].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، (١٣٢٣/٣/ح ١٦٩٥)، قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، ح وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، وتقاربا في لفظ الحديث، حدثنا أبي، حدثنا بشير بن المهاجر، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه ... به بزيادة في أوله.

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٢.

المبحث الرابع
الستر والنصيحة

الأصل في النصيحة في المنهج النبوي: الرفق، والستر، وفي ذلك إعانة للمخطئ على تصحيح خطئه دون معرفة الآخرين، وتجنيبه الحرج أو العناد والإصرار على الخطأ، وذلك لأن من طبيعة الإنسان كراهيته أن يُعاب وأن يُخَطّأ أمام الآخرين.

وقد كثرت النصوص النبوية التي تحثُّ على ستر المسلم، وتحذر من تتبُّع عوراته وزلاَّته، ومن ذلك قوله -ﷺ-: (مَن ستر مسلمًا ستَرَه الله يوم القيامة)(١).

قال ابن حجر:(٢) أي رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره، أي للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه.

فالأصل فيمن رأى المنكر أن يقوم بالإنكار على فاعله مع الستر عليه وعدم التشهير به، لما ورد في قصة ماعز - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال لرجل من أسلم يقال له هزال: (يا هزال لو سترته بردائك لكان خيراً لك)(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (١٢٨/٣/ح٢٤٤٢)، قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ...به بزيادة في أوله.

(٢) فتح الباري: ٩٧/٥.

(٣) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء:٥٦٨/٣٢٠/١، وقال: ثنا أبو أسامة بشرين الفضل، بصري سكن مصر، يحدث عن عكرمة بن عمار قال: ثنا يزيد بن نعيم بن هزال الأسلمي عن جده هزال، أن النبي -ﷺ- قال له: «يا هزال، أما إنك لو سترته =

قال النووي: وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به: الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة(١).

لا شك أن المذنب والعاصي له حق على مجتمعه، يتمثل في نصحه وتقويم اعوجاجه بأفضل الطرق وأقومها، فلو أن المسلمين – وخاصة الدعاة – اقتدوا برسول الله –ﷺ–، وبذلوا جهدهم في النصح للعاصي بهذا الأسلوب النبوي الكريم، وما فيه من رفق وستر، وشفقة ورحمة، لأثروا بأسلوبهم في العصاة والمذنبين، تأثيراً يجعلهم يسارعون لتنفيذ أوامر الله، ويتمسكون بهدي رسول الله –ﷺ– فكان النبي يزيل المعصية بيده ويوجه النصيحة الواضحة، دون التفتيش عن شخص العاصي لقصد توبيخه أو عقابه، فعندما رأى رسول الله –ﷺ– نخامة في قبلة المسجد، ومع أن هذا الفعل يُغضب عادة أي انسان، فإن رد فعله –ﷺ– كان يتسم بالهدوء والرفق إلى درجة

=

بردائك لكان خيرا لك» قالها مرتين أو ثلاثا – يعني ماعزا، والحديث إسناده ضعيف، فيه يزيد بن نعيم مقبول، قال فيه ابن حجر، مقبول من الخامسة (تقريب التهذيب:٦٠٥/٧٧٨٧).

(١) شرح النووي على مسلم: ١٣٥/١٦.

لا يشابهه فيها أحد، وهذا ما ورد في الحديث الشريف عن أنس بن مالك، أن النبي -ﷺ- رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه» ثم أخذ طرف ردائه، فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض، فقال: «أو يفعل هكذا»(١) .

قال النووي: قوله -ﷺ- فإنه يناجي ربه إشارة إلى إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لذكر الله تعالى وتمجيده وتلاوة كتابه وتدبره، واعلم أن البزاق في المسجد خطيئة مطلقا سواء احتاج إلى البزاق أو لم يحتج بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة وعليه أن يكفر هذه الخطيئة بدفن البزاق، هذا هو الصواب أن البزاق خطيئة كما صرح به رسول الله -ﷺ-، وقال العلماء والقاضي عياض فيه كلام باطل حاصله: أن البزاق ليس بخطيئة إلا في حق من لم يدفنه، وأما من أراد دفنه فليس بخطيئة، واستدل له بأشياء باطلة، فقوله هذا غلط صريح مخالف لنص الحديث، ولما قاله العلماء نبهت عليه لئلا يغتر به وأما قوله -ﷺ- وكفارتها دفنها فمعناه إن ارتكب هذه الخطيئة فعليه تكفيرها، كما أن الزنا والخمر وقتل الصيد في الإحرام محرمات وخطايا وإذا ارتكبها فعليه عقوبتها(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، (٩٠/١/ح٤٠٥)، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس بن مالك.

(٢) شرح النووي على مسلم: ٤٠/٥.

قال البدر العيني: وسياق الحديث على أنه في المسجد، واعلم أن البصاق في المسجد خطيئة مطلقا، سواء احتاج إليه أم لا، فإن احتاج يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد يكون خطيئة وعليه أن يكفر هذه الخطيئة بدفنه(١).

ومعنى نهيه عن البزاق في القبلة إنما هو من أجل مناجاته لربه عند استقباله القبلة في صلاته، ومن أعظم الجفاء وسُوءِ الأدب أن تتوجه إلى رب الأرباب وملك الملوك وتتنخم في توجهك؛ وقد أعلمنا الله تعالى، بإقباله على من توجه إليه ومراعاته لحركاته.

فمع أن الموقف قد آذى رسول الله -ﷺ- وليس فيه توقير للمسجد، إلا إن رسول الله -ﷺ- لم ينفعل ولم يسأل عن الفاعل من باب الستر على صاحب المعصية، ولكن علمهم بهدوء ما ينبغي عليهم أن يفعلوه، بل وأزال بنفسه النخامة، وطيّب مكانها، وفيه الأدب مع الله – عزوجل –، والتأدب مع القبلة، واستشعار مناجاة المعبود في الصلاة، وكيف يفعل من عرض له شيء من هذا فأراد أن يتخلص منه في صلاته.

كذلك كان من هديه -ﷺ- التوجيه والنصح بطريق التعميم – دون ذكر اسم صاحب الخطأ –، فكان صلوات الله وسلامه عليه يُعْلِمُ بالخطأ ويذمُّه، وينصح المخطئ ولا يُشهِّر به أمام النَّاس، فكثيراً ما كان يقول -ﷺ- (ما بال أقوام؟)، وهو من باب التوجيه المباشر، ولكن بأسلوب التعميم دفعاً للحرج عن المخطئ، وستراً له، ورفقاً به، فيتعلم المخطئ وغيره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتتها بريرة تسألها في كتابتها فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، فلما جاء رسول الله -ﷺ- ذكرته ذلك، قال

---

(١) عمدة القاري: ٤/١٥٠.

النبي -ﷺ-: «ابتاعيها، فأعتقيها، فإنما الولاء لمن أعتق» ثم قام رسول الله -ﷺ- على المنبر، فقال: «ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة شرط»(١).

قال بدر الدين العيني: أنه يستحب للإمام أن يحسن العشرة مع رعيته، ألا ترى أنه لما خطب لم يواجه صاحب الشرط بعينه، لأن المقصود يحصل له ولغيره بدون فضيحة وشناعة عليه، وفيه المبالغة في إزالة المنكر والتغليظ في تقبيحه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله، (١٩٨/٣/ح٢٧٣٥)، قال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن يحيى، عن عمرة، عن عائشة.

(٢) عمدة القاري: ٢٢٧/٤.

المبحث الخامس
الأمل والرجاء

من رحمة الله أن فتح باب الأمل والرجاء أمام المذنبين، ليتوب مسيئهم، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى، عن النبي -ﷺ-، قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

إن يد الله مبسوطة بالعفو والمغفرة لا تتقبض في ليل ولا نهار، تنشد مذنباً أثقلته المعاصي، ومسيئاً أسرف على نفسه يرجو رحمة ربه، وفاراً إلى مولاه يطلب حسن القبول.

وعندئذ يغفر الله لهم ما اقترفوا من إثم أو معصية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

قال ابن حجر: الأمل بفتحتين رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى وهو قريب المعنى من التمني، وقيل الفرق بينهما: أن الأمل ما تقدم له سبب، والتمني بخلافه، وقيل: لا ينفك الإنسان من أمل فإن فاته ما أمله عول على التمني، ويقال الأمل إرادة الشخص تحصيل شيء يمكن حصوله فإذا فاته تمناه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، (٤/٢١١٣/ح٢٧٥٩)، قال: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا عبيدة، يحدث عن أبي موسى.

(٢) سورة الزمر آية: ٥٣.

(٣) فتح الباري: ١١/٢٣٦.

وقال أيضاً: والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور(١).

ومن هدي النبي – ﷺ – مع العصاة والمذنبين مهما ارتكبوا من ذنوب أن يفتح لهم أبواب الأمل والرجاء والطمع في رحمة الله وعفوه.

فعن أبي هريرة، قال: سمعت النبي –ﷺ– قال: «إن عبدا أصاب ذنبا – وربما قال أذنب ذنبا – فقال: رب أذنبت – وربما قال: أصبت – فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا، أو أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت – أو أصبت – آخر، فاغفره؟ فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا، وربما قال: أصاب ذنبا، قال: قال: رب أصبت – أو قال أذنبت – آخر، فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا، فليعمل ما شاء»(٢).

قال ابن حجر: وقال القرطبي: وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه؛ لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض

---

(١) المصدر السابق: ٣٠١/١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، (١٤٥/٩ح٧٥٠٧)، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، حدثنا إسحاق بن عبد الله، سمعت عبد الرحمن بن أبي عمرة، قال: سمعت أبا هريرة.

التوبة، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها؛ لأنه انضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه[1].

قال النووي في الحديث: إن الذنوب ولو تكررت مائة مرة، بل ألفا وأكثر وتاب في كل مرة، قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته[2].

فمن تاب إلى الله وأقلع من ذنبه واستغفر غفر الله له، ما دام يتوب إلى الله من ذنبه ويُقْلِع ويندم فهو جديرٌ بالتوبة؛ لأنَّ الإنسان محلُّ الخطايا، فعن أبي طويل شطب الممدود أنه أتى رسول الله -ﷺ- فقال: أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها، فلم يترك منها شيئا، وهو في ذلك لم يترك حاجة[3] ولا داجة[4] إلا أتاها، فهل له من توبة؟ قال: «فهل أسلمت؟» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، قال: «نعم، تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن»، قال:

(١) فتح الباري: ٤٧١/١٣.

(٢) النووي على مسلم: ٧٥/١٧.

(٣) حاجة: أي لا أدع شيئا أرى فيه برأه إلا فعلته، وهي في الأصل الريبة التي يحتاج إلى إزالتها. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٥٦/١/حوج).

(٤) داجة: قال الخطابي: الحاجة: القاصدون البيت، والداجة: الراجعون، والمشهور بالتخفيف، وأراد بالحاجة الحاجة الصغيرة، وبالداجة الحاجة الكبيرة. أي ما تركت شيئا دعتني نفسي إليه من المعاصي إلا وقد ركبته، وداجة إتباع لحاجة. والألف فيها منقلبة عن الواو. (المصدر السابق ١٠١/٢/دجج).

وغدراتي وفجراتي[١]؟ قال: «نعم» قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى[٢]

وعن ابن عباس ﵄: أن ناسا، من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا -ﷺ- فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٣] ونزلت ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[٤][٥].

قال ابن حجر: واستدل بعموم هذه الآية على غفران جميع الذنوب كبيرها وصغيرها سواء تعلقت بحق الآدميين أم لا، والمشهور عند أهل السنة

(١) والغدرات جمع غَدَرَة، وهي اسم للأفعال التي نَقَض فيها العَهدَ، والفَجَرات، جمع فَجَرَة، وهي اسم لما اقترف من إثم وفسق وفجور، اللسان(٢/٦٤٥/غ د ر) و(٥/ ٤٧/ ف ج ر)، بتصرف.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: (٧/٣١٤/ح٧٢٣٥)، قال: حدثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطي، ثنا أبوالمغيرة، ثنا صفوان بن عمرو، ثنا عبد الرحمن بن جبير، عن أبي طويل، قلت إسناده حسن، فيه أبو زيد أحمد بن يزيد قال فيه الدراقطني: لا بأس به. وباقي رجاله ثقات. (موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله ص٦٣).

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨.

(٤) سورة الزمر آية: ٥٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، (١/١١٣/ح١٢٢)، قال: حدثني محمد بن حاتم بن ميمون، وإبراهيم بن دينار، واللفظ لإبراهيم، قالا: حدثنا حجاج وهو ابن محمد، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير، يحدث عن ابن عباس.

أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة وأنها تغفر لمن شاء الله، ولو مات على غير توبة، لكن حقوق الآدميين إذا تاب صاحبها من العود إلى شيء من ذلك تنفعه التوبة من العود، وأما خصوص ما وقع منه فلا بد له من رده لصاحبه، أو محاللته منه، نعم في سعة فضل الله ما يمكن أن يعرض صاحب الحق عن حقه ولا يعذب العاصي بذلك، ويرشد إليه عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[(١)] والله أعلم[(٢)].

قال الترمذي: هذا يدل على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة، ولا يقنطن عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب الرحمة والتوبة واسع انتهى[(٣)].

---

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) فتح الباري: ٧/٥٥٠.

(٣) تحفة الأحوذي: ٩/٨٠.

المبحث السادس
الإنكار والتأديب

ما من مجتمع إلا وتجد فيه من ينحرف عن الطريق المستقيم؛ لغلبة شهوة، وقلة إيمان، أو أمر يختلج في القلب، وهذا كله من دواعي العصيان التي لها أثر بالغ في المجتمع وحياة الناس، وعلى المجتمع – وخاصة أهل الإصلاح – أن يعالجوا هذا المرض بطرق صحيحة، تبدأ من تشخيص المرض، ومدى خطره، والطرق المختلفة لعلاجه.

وقد أرشد المصطفى -ﷺ- إلى أعظم وسائل العلاج من خلال مباشرته لأنواع من العُصاة، وفي كل مرة يعطي الأمة وسائلَ وأنواعًا من التعاملات، تمثِّل المنهج الصحيح والنافع في تصحيح مسار العصاة.

عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله -ﷺ-؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله -ﷺ- فكلمه أسامة، فقال رسول الله -ﷺ-: «أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١).

قال ابن بطال قال المهلب: هذا يدل أن حدود الله لا يحل للأئمة ترك إقامتها على القريب والشريف، وأن من ترك ذلك من الأئمة فقد خالف سنُة رسول الله -ﷺ- ورغب عن اتباع سبيله. وفيه: أن إنفاذ الحكم على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (٤/١٧٥/ح٣٤٧٥)، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة.

الضعيف ومحاشاة الشريف مما أهلك الله به الأمم، ألا ترى أنه -ﷺ- وصف أن بنى إسرائيل هلكوا بإقامة الحد على الوضيع وتركهم الشريف. وقد وصفهم الله بالكفر لمخالفتهم أمر الله تعالى، فقال تعالى:﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾[1][2].

قال النووي: ذكر مسلم ﷺ في الباب الأحاديث في النهي عن الشفاعة في الحدود، وأن ذلك هو سبب هلاك بني إسرائيل، وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان، لم يشفع فيه، وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزير، فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا؛ لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه[3].

فهذا الحديث الشريف يتضمن ضرورة تطبيق قوانين الحدود والعقوبات على مستحقيها دون استثناء لأحد على حساب الآخرين، فالأمة كلها مطالبة بالانصياع الكامل للتشريعات الاسلامية في جوانب الحياة، بما فيها الحدود والعقوبات، فإذا تحققت المساواة الكاملة في ذلك كانت سبباً في نهضة الأمة وحمايتها من الثغرات التي تؤدي إلى خرابها وهلاكها.

وقد أظهر لنا الحديث الشريف هذه الحقيقة من خلال موقف الرسول -ﷺ- من شفاعة أسامة بن زيد ﷺ لتلك المرأة السارقة التي أصابت

---

(١) سورة المائدة آية: ٤٤.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤٠٧/٨.

(٣) النووي على مسلم: ١٨٦/١١.

حداً من حدود الله، فاستحقت عقوبة قطع اليد التي تقررها الشريعة الإسلامية، وإنما غضب النبي -ﷺ- من شفاعة أسامة؛ لأنها جاءت لتعطيل حدّ من حدود الله، فغضب النبي -ﷺ- وعاتب أسامة في ذلك، ثم ارتقى المنبر جرياً على عادته -ﷺ- عندما يريد أن يلقن أمته درساً خطيراً، وقد لخصه النبي -ﷺ- في عدة كلمات مفادها، أن السبب الأساسي في هلاك الأمم هو عدم المساواة والعدالة في تنفيذ العقوبات، فالشريف صاحب المال والجاه والسلطان لا يخضع للعقوبات، ولكن الآخرين ممن لا يمتازون بلقب الشرفاء بهذا المفهوم، تجري العقوبات عليهم، وقد يبالغ في تنفيذها، وهذا الظلم هو السبب في هلاك تلك الأمم كما ذكر الحديث الشريف، ثم تأتي الاشارة النبوية الأخيرة التي تدلّ على كامل الحزم وغاية الحسم في هذه القضية عندما يعلنها النبي -ﷺ-، «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وهنا تظهر عدالة الرسول -ﷺ- ومساواته بين أفراد أمته في الحقوق والواجبات، ويظهر حزمه -ﷺ- في تنفيذ العقوبات ولو على أقرب المقربين إليه، ولو كانت فاطمة الزهراء، وهذه الوقفة التربوية تعتبر ضرورة لأمتنا، حتى تكون بمأمن من أن يصيبها ما أصاب الأمم السابقة من هلاك.

وهنا يقرر الحديث مبدأ في الشفاعة حيث اعتبرها سيئة عندما تكون لتعطيل حدّ من الحدود، أو لارتكاب معصية من المعاصي، أو للاعتداء على حق من الحقوق، فمن يشفع مثل هذه الشفاعة فهو والمشفوع له شريكان في الإثم، ولكن الشفاعة إن كانت لرفع الظلم عن المظلوم، أو لتحصل حقاً من الحقوق، فهي الشفاعة الحسنة التي حث الله تعالى عليها في قوله تعالى:﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾[(١)].

(١) سورة النساء آية: ٨٥.

والأصل أن هدي النبي -ﷺ- اللين في الإنكار لكن قد يغلظ في الإنكار إذا حصلت المعصية من خاصة أصحابه ممن قوي إيمانهم لمصلحة يراها -ﷺ-فعن عبد الله بن عمرو، قال: رأى النبي -ﷺ- علي ثوبين معصفرين، فقال: «أأمك أمرتك بهذا؟» قلت: أغسلهما، قال: «بل أحرقهما»(١) .

قال النووي: قوله -ﷺ- (أمك أمرتك بهذا) معناه أن هذا من لباس النساء وزيهن وأخلاقهن، وأما الأمر بإحراقهما، فقيل: هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل، وهذا نظير أمر أصحاب بريرة ببيعها وأنكر عليهم اشتراط الولاء(٢) ونحو ذلك والله أعلم(٣).

قال القاضي عياض: وأما قوله -ﷺ-: "أحرقها" فلعله على وجه التغليظ والعقوبة في المال(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، (١٦٤٧/٣/ح٢٠٧٧) قال: حدثنا داود بن رشيد، حدثنا عمر بن أيوب الموصلي، حدثنا إبراهيم بن نافع، عن سليمان الأحول، عن طاوس، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله، (١٩٨/٣/ح٢٧٣٥)، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن يحيى، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها رضي الله عنها قالت: أتتها بريرة تسألها في كتابتها فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، فلما جاء رسول الله -ﷺ- ذكرته ذلك، قال النبي -ﷺ-: «ابتاعيها، فأعتقيها، فإنما الولاء لمن أعتق» ثم قام رسول الله -ﷺ- على المنبر، فقال: «ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة شرط»

(٣) النووي على مسلم: ٥٥/١٤.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم: باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ٥٨٩/٦.

بل إن النبي -ﷺ- ربما بالغ في تأديب العاصي من أصحابه فهجرهم وأمر الناس بهجرهم كما حصل للثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله -ﷺ- في غزوة تبوك، فعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: سمعت أبي كعب بن مالك -وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، أنه لم يتخلف عن رسول الله -ﷺ- في غزوة غزاها قط، غير غزوتين غزوة العسرة، وغزوة بدر - قال: فأجمعت صدقي رسول الله -ﷺ- ضحى، وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى، وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين، ونهى النبي -ﷺ- عن كلامي، وكلام صاحبي، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا، فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر، وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي النبي -ﷺ-، أو يموت رسول الله -ﷺ- فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي ولا يسلم علي فأنزل الله توبتنا على نبيه -ﷺ-، حين بقي الثلث الآخر من الليل، ورسول الله -ﷺ-عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري، فقال رسول الله -ﷺ-: «يا أم سلمة تيب على كعب» قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: «إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة» حتى إذا صلى رسول الله -ﷺ- صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة من القمر، وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل من هؤلاء الذين اعتذروا، حين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله -ﷺ- من المتخلفين واعتذروا بالباطل، ذكروا بشر ما ذكر به أحد، قال الله سبحانه: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ

﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[1] الآية[2]، فالمقصود أن هؤلاء الثلاثة صدقوا، وأنهم تخلفوا بغير عذر فأمر النبي ﷺ بهجرهم فهجروا، هجرهم الصحابة؛ لأنهم تخلفوا عن الغزو بغير عذر شرعي، هجروا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، واشتد عليهم الأمر لا يكلمهم أحد لا الرسول -ﷺ- ولا غيره.

ثم إن الله عزوجل علم صدق توبتهم وندمهم فأنزل الله توبتهم من فوق سبع سماوات فأنزل فيهم:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١١٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3] فتاب عليهم بسبب صدقهم في توبتهم وصدقهم في عذرهم الذي أبدوا.

فهذا فيه دليل على أن من تخلف عن الغزو بغير عذر شرعي فلولي الأمر أن يأمر بهجره، حتى يتوب فيتوب الله عليه؛ ولهذا هجر النبي ﷺ والصحابة هؤلاء الثلاثة حتى تابوا وتاب الله عليهم.

---

(١) سورة التوبة آية ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، (٦/٧٠/ح ٤٦٧٧)، قال: حدثني محمد، حدثنا أحمد ابن أبي شعيب، حدثنا موسى بن أعين، حدثنا إسحاق بن راشد، أن الزهري حدثه، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك.

(٣) سورة التوبة آيتان: ١١٨، ١١٩.

وإذا تعلقت المعصية الصغيرة بإلحاق بعض المشقة الزائدة على الناس في عباداتهم أو معاملاتهم، أو تعلق بها حق عام يؤثر على المجتمع عامة، كان ﷺ يتعامل مع الأمر بحزم ووضوح، ولكن في الوقت نفسه دون الغضب على المخطئ نفسه أو تعنيفه حيث يكون غافلا أو مجتهدا.

فعن أبي مسعود ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: «وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»(١).

قال النووي: فيه الغضب لما ينكر من أمور الدين والغضب في الموعظة(٢).

قال ابن حجر: قوله: (منفرون) خبر: أن، أي: منفرون عن الجماعات وفي بعض الروايات: (إن منكم منفرين). فإن قلت: كان المقتضى أن يخاطب المعلول، قلت: إنما خاطب الكل ولم يعين المطول كرما ولطفا عليه، وكانت هذه عادته حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب بمن يستحقه حتى لا يحصل له الخجل، ونحوه على رؤوس الأشهاد(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام، وإتمام الركوع= =والسجود، (١/١٤٢/ح٧٠٢)، قال: حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا إسماعيل، قال: سمعت قيسا، قال: أخبرني أبو مسعود.

(٢) النووي على مسلم: ١٨٥/٤.

(٣) فتح الباري: ١٠٦/٢.

فهذا الحديث بين غضب النبي -ﷺ- من هذا الفعلِ الذي فعَله هذا الإمامُ، وفيه أيضًا إشارة إلى أن النبي -ﷺ- كان يغضب عند الموعظة لانتهاك حرمات الله.

كذلك من هدي النبي -ﷺ- الغضب حين وقوع المعصية غضبة لله، فعن عائشة قالت «ما ضرب رسول الله -ﷺ- شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله»[(١)].

قال النووي: في هذا الحديث، الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرما أو نحوه، وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى[(٢)].

وكان النبي -ﷺ- يشدد فِي تعنِيف من وقع في معصية، وخاصة من كانت له عنده منزلة: فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة[(٣)] وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي -ﷺ-: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب مباعدته، للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، (٤/١٨١٤/ح٢٣٢٨)، قال: حدثناه أبوكريب، حدثنا أبوأسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة.

(٢) النووي على مسلم: ١٥/٨٤.

(٣) الربذة بالتحريك: قرية معروفة قرب المدينة، بها قبر أبي ذر الغفاري. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٨٣/ربذ).

فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»(١).

قال ابن حجر ﷺ: «واستدل أيضا بقوله -ﷺ- لأبي ذر فيك جاهلية أي خصلة جاهلية، مع أن منزلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخه بذلك على عظيم منزلته عنده تحذيرا له عن معاودة مثل ذلك لأنه وإن كان معذورا بوجه من وجوه العذر لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه»(٢).

لم يحذّر النبي -ﷺ- من شيء تحذيره من الجاهليّة وأخلاقها، وقيمها ومبادئها، حتى إنه ﷺ جعل لهذه القضيّة نصيباً من خطبته يوم عرفة حيث قال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»(٣).

ومن صور الجاهليّة التي يقع فيها الناس بين الحين والآخر: التنقيص بالآباء والأمهات؛ ذلك أن مثل هذه المعايير المبنيّة على المفاخرة الكاذبة والنظرة الدونيّة للآخرين تتنافى مع الإيمان بوحدة الناس من جهة النسب بأبينا آدم وأمّنا حوّاء، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، (١/١٥/ح٣٠)، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور بن سويد.

(٢) فتح الباري: ١/٨٥.

(٣) أخرجه في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي، (٢/٨٨٦/ح ١٢١٨)، قال: حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، جميعا عن حاتم، قال أبوبكر: حدثنا حاتم بن إسماعيل المدني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله... به مطولاً.

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[1] والشرف كلّ الشرف إنما هو في تقوى الله والالتزام بشريعته الغرّاء بعيداً عن القيم الأرضيّة والفوارق التي يذكرها الناس من النسب أو اللون أو الجاه ونحو ذلك، بل الكل يُقيّم بحسب الميزان الإلهيّ الأوحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2].

وأحياناً يشدد على العاصي ويكرر عليه، ليعلم فظاعة الذنب الذي ارتكبه، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه، يقول: بعثنا رسول الله –ﷺ– إلى الحرقة[3]، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي –ﷺ–، فقال: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[4].

قال الخطابي: ويشبه أن أسامة أول قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾[5] فلذلك عزره النبي ﷺ، فلم يلزمه دية ونحوها[6].

---

(١) سورة النساء آية رقم ١.

(٢) سورة الحجرات رقم ١٣.

(٣) الحُرَقَةُ: بالضم ثم الفتح، والقاف: ناحية بعمان. (معجم البلدان ٢/٢٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، (٥/١٤٤/ح ٤٢٦٩)، قال: حدثني عمرو بن محمد، حدثنا هشيم، أخبرنا حصين، أخبرنا أبو ظبيان، قال: سمعت أسامة بن زيد.

(٥) سورة غافر آية رقم ٨٥.

(٦) عمدة القاري: ١٧/٢٧٢.

قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وقال بن بطال كانت هذه القصة سبب حلف أسامة أن لا يقاتل مسلماً بعد ذلك ومن ثم تخلف عن علي في الجمل وصفين(١).

وكان هدي النبي -ﷺ- أنه لا ينكر مباشرة فيسأل حتى يتبن له الأمر، ويتأكد من وقوع المعصية، وهل العاصي قارف المعصية وهو عالم بالحكم أو جاهل، فعن أبي سعيد قال: أتي رسول الله -ﷺ- بتمر، فقال: «ما هذا التمر من تمرنا؟»، فقال الرجل: يا رسول الله، بعنا تمرنا صاعين بصاع من هذا، فقال رسول الله -ﷺ-: «هذا الربا فردوه، ثم بيعوا تمرنا واشتروا لنا من هذا»(٢).

ثم يأمر بتدارك المعصية مع الإمكان فيأمر بتغيير المعصية كما أمر بإعادة التمر؛ لأنها معاملة ربوية.

قال ابن حجر: وفي الحديث قيام عذر من لا يعلم التحريم حتى يعلمه، وفيه جواز الرفق بالنفس وترك الحمل على النفس لاختيار أكل الطيب على الرديء، خلافا لمن منع ذلك من المتزهدين(٣).

---

(١) فتح الباري: ١٢/١٩٥، ١٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، (٣/١٢١٦/ ح١٥٩٤) قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا الحسن بن أعين، حدثنا معقل، عن أبي قزعة الباهلي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد.

(٣) فتح الباري: ٤/٤٠٠.

الخاتمة

وفي ختام دراستي لموضوع تعامل النبي ﷺ مع العصاة فأحمده عز وجل أن مدني بعونه، وتحنن علي بكرمه وفضله، ومنحني من أسباب العلم ما وفقني لإتمام بحثي هذا، وقد تبين لي أن وجود علاقات تفاعلية بين البشر هو من ضرورات الحياة، بغض النظر عن الجنس أو اللون، وأن الشريعة الإسلامية لم تقتصر على تعليم المسلمين أنواع العبادات وطرق تأديتها فحسب، بل أوضحت لهم كافة أنواع المعاملات والعلاقات فيما بينهم، وطرائقها وأحكامها، فلم تقتصر المعاملات على النواحي المالية كالبيع والشراء فحسب، بل تجاوزتها إلى نطاق رحيب لتشتمل كل علاقة وتعامل وأي تفاعل، أو تواصل فاشتملت التفاعلات الاجتماعية، والتواصلات اللفظية، أو البصرية، هذا وقد توصلت من خلال بحثي إلى **نتائج أهمها :**

أولاً: ضرورة مراعاة القواعد التي تعامل بها النبي ﷺ مع العصاة بأي أسلوب كان، وذلك استجابة لأمر إلهنا واقتداء بسنة نبينا ﷺ ورغبة في ثمرة دعوة العصاة ومناصحتهم، وذلك بتوبتهم واقلاعهم، وإصلاحهم وتحويلهم إلى أفراد صالحين مصلحين.

ثانيًا: الانتباه إلى أن الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضيان الأمر بالكف عن المذنب بعد توبته، وحفظ مكانته وعدم تعييره، وهذا مما يغفل عنه كثير من الدعاة والمصلحين.

ثالثًا: إن التساهل في عدم التزام منهجه ﷺ، وقواعده التي تعامل بها مع العصاة وتجاهلها، قد يفضي بالمصلح والناصح إلى الوقوع في الذنب، من حيث يريد الإصلاح والخير.

ومن التوصيات التي أود التأكيد عليها:

فأوصي الباحثين بالآتي:

١- الاهتمام بالدراسة الموضوعية فبها يستقيم لصاحبها آلة الفهم والاستنباط.

٢- الاهتمام بدراسة الأحاديث الخاصة بتعاملات النبي- ﷺ - ففيها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة.

والله أسأل أن يوفقنا إلى الحق وأسبابه وسبله، وأن يثبت طائعينا ويهدي عصاتنا وأن يهيئ لأمتنا كل رشد وخير ورقي، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي هذا، وأن يرضى به عني، إنه -جل جلاله- بكل جميل كفيل، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وصَلِ اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- إكمال المعلم بفوائد مسلم، المؤلف: القاضي الشيخ الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (المتوفي ٥٤٤ هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، المحقق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٦- تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا – ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٧- الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م

٨- الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار التأصيل ـ القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ.

٩- الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت ، عمان، ط١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

١٠- سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث.

١١- شرح صحيح البخاري لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٢- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبوالفضل (ت ٥٤٤هـ) تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبوالفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩م.

١٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

١٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

١٩- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤هـ.

٢٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٣- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى:٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٤- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢.

٢٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢م.

٢٦- موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله، تأليف: مجموعة من المؤلفين (الدكتور محمد مهدي المسلمي -

أشرف منصور عبدالرحمن – عصام عبد الهادي محمود – أحمد عبد الرزاق عيد – أيمن إبراهيم الزاملي – محمود محمد خليل)، ط١، ٢٠٠١ م، دار: عالم الكتب للنشر والتوزيع – بيروت، لبنان.

٢٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٨- نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٢٩- وقفات تربوية من السيرة النبوية، المؤلف: عبد الحميد جاسم البلالي، دار: شركة السماحة – الكويت، ط١، ٢٠١٢م.

References :

al8ran alkrym.

1- ekmal alm3lm bfoa2d mslm ،alm2lf: al8ady alshy5 al7afz aby alfdl 3yad bn mosy aly7sby (almtofy 544 h.) ،t78y8: m7md 7sn esma3ylw a7md fryd almzydy ،dar alktb al3lmya ،byrot.

2- blogh almram mn adla ala7kam ،alm2lf: abo alfdl a7md bn 3ly bn m7md bn a7md bn 7gr al3s8lany (t 852 h.) ،alm788: aldktor mahr yasyn alf7l ،alnashr: dar al8bs llnshrwaltozy3 ،alryad - almmlka al3rbya als3odya ، al6b3a: alaoly ،1435 h. - 2014 m.

3- tag al3ros mn goahr al8amos ،alm2lf: m7mّd bn m7mّd bn 3bdalrzّa8 al7syny ،abo alfyd ،alml8ّb bmrtdy ،alzّbydy (almtofy: 1205h.) ،t78y8: mgmo3a mn alm788yn ،dar alhdaya.

4- t7fa ala7ozy bshr7 gam3 altrmzy ،alm2lf: abo al3la m7md 3bd alr7mn bn 3bd alr7ym almbarkfory (almtofy: 1353h.) ، dar alktb al3lmya – byrot.

5- tfsyr al8ran al3zym (abn kthyr) ،alm2lf: abo alfda2 esma3yl bn 3mr bn kthyr al8rshy albsry thm aldmsh8y (almtofy: 774h.) ،t78y8: m7md 7syn shms aldyn ،dar alktb al3lmya ،mnshorat m7md 3ly bydon – byrot ،61 ،1419h..

6- t8ryb althzyb ،alm2lf: abo alfdl a7md bn 3ly bn m7md bn a7md bn 7gr al3s8lany (almtofy: 852h.) ،t78y8: m7md 3oama ،dar alrshyd – sorya - 61 ،1406 – 1986m.

7- algam3 alkbyr - snn altrmzy ،alm2lf: m7md bn 3ysy bn sَoْra bn mosy bn ald7ak ،altrmzy ،abo 3ysy (almtofy: 279h.) ،alm788: bshar 3oad m3rof ،alnashr: dar alghrb al eslamy – byrot ،sna alnshr: 1998 m

8- algam3 almsnd als7y7 ،m7md bn esma3yl alb5ary ،dar altasyl ـ al8ahra ،61 ،1433hـ.
9- alrod aldany (alm3gm alsghyr) ،alm2lf: slyman bn a7md bn ayob bn m6yr all5my alshamy ،abo al8asm al6brany (almtofy: 360hـ) ،t78y8: m7md shkor m7mod al7ag amryr ، almktb al eslamy, dar 3mar - byrot , 3man ،61 ،1405 – 1985m.
10- sbl alslam ،alm2lf: m7md bn esma3yl bn sla7 bn m7md al7sny ،alk7lany thm alsn3any ،abo ebrahym ،3z aldyn ، alm3rof kaslafh balamyr (almtofy: 1182hـ) ،alnashr: dar al7dyth.
11- shr7 s7y7 alb5ary labn b6al ،alm2lf: abn b6al abo al7sn 3ly bn 5lf bn 3bd almlk (almtofy: 449hـ) ،t78y8: abo tmym yasr bn ebrahym ،mktba alrshd - als3odya ،alryad ،62 ، 1423h2003–ـm.
12- shr7 s7y7 mslm ll8ady 3yad almsmy ekmal alm3lm bfoa2d mslm ،alm2lf: 3yad bn mosy bn 3yad bn 3mron aly7sby alsbty ،aboalfdl (t 544hـ) t78y8: aldktor y7yy esma3yl ،dar alofa2 ll6ba3awalnshrwaltozy3 ،msr ،611419 ، h1998 – ـm.
13- 3mda al8ary shr7 s7y7 alb5ary ،alm2lf: abo m7md m7mod bn a7md bn mosy bn a7md bn 7syn alghytaby al7nfy bdr aldyn al3yny (almtofy: 855hـ) ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot.
14- 3mda al8ary shr7 s7y7 alb5ary ،alm2lf: abo m7md m7mod bn a7md bn mosy bn a7md bn 7syn alghytaby al7nfy bdr aldyn al3yny (almtofy: 855hـ) ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot.

15- al3yn ،alm2lf: abo 3bd alr7mn al5lyl bn a7md bn 3mro bn tmym alfrahydy albsry (almtofy: 170hـ) ،t78y8: d mhdy alm5zomy ،d ebrahym alsamra2y ،darwmktba alhlal.
16- ft7 albary shr7 s7y7 alb5ary ،alm2lf: a7md bn 3ly bn 7gr aboalfdl al3s8lany alshaf3y ،dar alm3rfa - byrot ،1379m.
17- kshf almshkl mn 7dyth als7y7yn ،alm2lf: gmal aldyn abo alfrg 3bd alr7mn bn 3ly bn m7md algozy (almtofy: 597hـ) ، t78y8: 3ly 7syn alboab ،dar alo6n – alryad.
18- alkashf fy m3rfa mn lh roaya fy alktb alsta ،alm2lf: shms aldyn abo 3bd allh m7md bn a7md bn 3thman bn 8áyْmaz alzhby (almtofy: 748hـ) ،t78y8: m7md 3oama a7md m7md nmr al56yb ،dar al8bla llth8afa al eslamya - m2ssa 3lom al8ran ،gda ،61 ،1413 h**1992 – ـ**m.
19- lsan al3rb ،alm2lf: m7md bn mkrm bn 3ly ،abo alfdl ،gmal aldyn abn mnzor alansary alroyf3y al efry8y (almtofy: 711hـ) ،dar sadr – byrot ،63 - 1414hـ.
20- mgm3 alzoa2dwmnb3 alfoa2d ،alm2lf: abo al7sn nor aldyn 3ly bn aby bkr bn slyman alhythmy (almtofy: 807hـ) ،t78y8: 7sam aldyn al8dsy ،mktba al8dsy ، al8ahra1414 h**1994 ،ـ**m.
21- msnd al emam a7md bn 7nbl ،alm2lf: abo 3bd allh a7md bn m7md bn 7nbl bn hlal bn asd alshybany (almtofy: 241hـ) ،alm788: sh3yb alarn2o6 - 3adl mrshd،wa5ron ، eshraf: d 3bd allh bn 3bd alm7sn altrky ،alnashr: m2ssa alrsala ،al6b3a: alaoly ،1421 h**2001 – ـ**m.
22- almsnd als7y7 alm5tsr bn8l al3dl 3n al3dl ely rsol allh □ ، alm2lf: mslm bn al7gag abo al7sn al8shyry alnysabory (almtofy: 261hـ) ،t78y8: m7md f2ad 3bd alba8y ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot.

23- m3gm albldan ،alm2lf: shhab aldyn abo 3bd allh ya8ot bn 3bd allh alromy al7moy (almtofy:626hـ) ،dar sadr ،byrot ، 62 ،1995m.

24- alm3gm alkbyr ،alm2lf: slyman bn a7md bn ayob bn m6yr all5my alshamy ،abo al8asm al6brany (almtofy: 360hـ) ، t78y8: 7mdy bn 3bdalmgyd alslfy ،mktba abn tymya – al8ahra ،62.

25- almnhag shr7 s7y7 mslm bn al7gag ،alm2lf: abo zkrya m7yy aldyn y7yy bn shrf alnooy (almtofy: 676hـ) ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،62 ،1392m.

26- moso3a a8oal aby al7sn aldar86ny fy rgal al7dythw3llh ، talyf: mgmo3a mn alm2lfyn (aldktor m7md mhdy almslmy - ashrf mnsor 3bdalr7mn - 3sam 3bd alhady m7mod - a7md 3bd alrza8 3yd - aymn ebrahym alzamly - m7mod m7md 5lyl) ،61 ،2001 m ،dar: 3alm alktb llnshrwaltozy3 - byrot ،lbnan.

27- alnhaya fy ghryb al7dythwalathr ،alm2lf: mgd aldyn abo als3adat almbark bn m7md bn m7md bn m7md abn 3bd alkrym alshybany algzry abn alathyr (almtofy: 606hـ) ، t78y8: 6ahr a7md alzaoy - m7mod m7md al6na7y ، almktba al3lmya - byrot ،1399h1979 – ـm.

28- nyl alao6ar ،alm2lf: m7md bn 3ly bn m7md bn 3bd allh alshokany alymny (almtofy: 1250hـ) ،t78y8: 3sam aldyn alsbab6y ،dar al7dyth ،msr ،61 ،1413h1993 – ـm.

29- o8fat trboya mn alsyra alnboya ،alm2lf: 3bd al7myd gasm alblaly ،dar: shrka alsma7a – alkoyt ،61 ،2012m.